سلسلة مقارنة الأديان (١)

تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب

للقس أنسلم تورميدا

الشهير بعبد الله الترجمان الأندلسي

تحقيق وتعليق ودراسة

د. محمود على حماية

أستاذ ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر

مراجعة الأستاذ

خالد محمود على حماية



سلسلة مقارنة الأديان (١)

تحفة الأريب
في الرد على أهل الصليب

للقس أنسلم تورميدا
الشهير بعبد الله الترجمان الأندلسي

تحقيق وتعليق ودراسة

د. محمود علي حماية

أستاذ ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر

مراجعة الأستاذ

خالد محمود علي حماية

الناشر

مكتبة الإيمان

٤ شارع أحمد سوكارنو - العجوزة

ت: ٣٣٤٥٢٣٠٢ - فاكس: ٣٣٠٤٤٨٤١

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٢٤٣٧١
ISBN:978-977-449-040-8

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

صدق الله العظيم

رأي مجمع البحوث الإسلامية في هذا الكتاب

عرض هذا الكتاب على إدارة البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية فحولته على فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير لفحصه وإعطاء رأيه في مادته ونشره، فكتب تقريراً مطولاً جاء في نهايته مايلي:

"علم ما تقدم أن مؤلف هذا الكتاب كان مسيحيًا أسبانيًا من جزيرة ميورقة، وكان اسمه قبل أن يسلم (إنسلم ترومیدا)، وأن الله تعالى هداه إلى الإسلام فسمى نفسه عبد الله، وأضيف إليه لقب الترجمان؛ لأنه اشتغل بالترجمة لسلطان تونس بعد إسلامه، وقد ألف هذا الكتاب باللغة العربية سنة ٨٢٣ هجرية، وترجم إلى الفرنسية ونشر في مجلة تاريخ الأديان باريس سنة ١٨٨٥م.

وقد حققه الدكتور محمود علي حماية من أربع نسخ مخطوطة باللغة العربية، والكتاب يشتمل على بيان السبب في إسلام المؤلف، وعلى عرض لعقائد النصارى ورده على هذه العقائد، وعلى تضارب الأناجيل وأن ذلك يقطع بأنها من تأليف أصحابها، كما رد على ماعابه النصارى على المسلمين، فأقام الأدلة على نبوة محمد ﷺ من أناجيلهم وبشارات أنبيائهم.

هذه خلاصة مختصرة لما كتبناه مفصلاً في تقريرنا عن هذا الكتاب أخذاً من نصوصه، والكتاب لم يتجاوز الحقائق التي قررها القرآن الكريم عن النصرانية وعقائدها،وشهادة هذه الكتب بصحة رسالة نبينا محمد ﷺ التي حاولوا طمسها مع وضوح نصوصها؛ لذا لا نرى مانعاً من طبع كتاب (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب) لعبد الله الترجمان، فقد

سبق طبع ونشر مثله، ككتاب (الله واحد أم ثالوث) للأستاذ محمد مجدي مرجان الذي كان مسيحيًا وأسلم، فقد نشرته دار النهضة بالقاهرة، (وكتاب الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل) للإمام الغزالي، فقد حققه الأستاذ عبد العزيز عبد الحق ونشره له مجمع البحوث الإسلامية ومن قبل ترجمه إلى الفرنسية (الأب روبير شدياق) ونشر في باريس سنة ١٩٣٩م.

كما سبق نشر كتاب (محاضرات في النصرانية) للشيخ محمد أبي زهرة أستاذ الشريعة بكلية الحقوق وعضو مجمع البحوث الإسلامية – سابقاً – عليه رحمة الله.

ولا شك أن في طبع مثل هذا الكتاب مساعدة على المقارنة بين الأديان التي أصبحت علما يدرس في جامعة الأزهر، وغيرها من الجامعات الأجنبية. والله تعالى ولي التوفيق.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١١ من ربيع الثاني سنة ١٤٠٤هـ

١٤/١/١٩٨٤م

مصطفى محمد الحديدي الطير

عضو مجمع البحوث الإسلامية

وقد رأيت أن أستطلع رأي فضيلته في الكتاب بعد أن قرأت هذا التقرير فأدلى بالتصريح التالي:

حينما عرض هذا الكتاب علي كنت مشغولاً بأعمال شتى لمجمع البحوث

الإسلامية، وكنت بصدد الاعتذار عن قراءته، لولا ما رأيته فيه من أمور شدت انتباهي إلى قراءته ففحصته بعناية دقيقة فأعجبني فيه أمران أولهما: أنه يحتوي على شهادة عالم مسيحي متبحر بأن نعت النبي ﷺ موجود في كتب المسيحية بصراحة، فقد بشرت (بالفارقليط) ومعناه (أحمد) وهو الذي جاء في القرآن الكريم في بشارته بمجيئه ﷺ ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ وأنه رد على تحامل المسيحيين على الإسلام من نصوص كتبهم وأن مؤلفه اهتدى إلى الإسلام بعد أن عرف طريقه إليه من نصوص هذه الكتب. والأمر الثاني الذي أعجبني فيه عناية فضيلة الدكتور محمود علي حماية بتقديمه وتحقيقه والتعليق عليه بأمانة ودراية وسعة اطلاع، وهذا اللون من التحقيق يسرني أن يكثر بين أبنائنا العلماء، فإن الجهاد بالعلم لا يقل شأناً عن الجهاد بالسيف، وربما كان في هذا الوقت أمضى وأبلغ في الوصول بالناس إلى الحق وإنقاذهم من حيرتهم التي يعيشون في ظلامها الدامس، وأرجو أن ينفع الله قراء هذا الكتاب، وأن يفتح به قلوباً غلفاً حتى تبصر النور وتهتدي إلى سواء السبيل، كما أرجو أن يثيب محققه على جهده المخلص في تحقيقه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لفضيلة الأستاذ الشيخ صالح شرف عضو مجمع البحوث الإسلامية وأستاذ أساتذة العقيدة الإسلامية.

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد المنزه عن اتخاذ الصاحبة والولد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، والصلاة والسلام على الرسول الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله المنزل عليه القرآن الكريم الذي حفظه الله من التحريف والتبديل كتاب ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ﴾ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على ملته واتبع هديه إلى يوم الدين.

وبعد:

فإني قد اطلعت على كتاب (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب) وعلى تحقيق العلامة الشيخ محمود علي حماية المدرس بكلية أصول الدين بأسيوط، فوجدت التحفة أصل التحقيق كتاباً جليل القدر شاهدَ صدقٍ على الافتراء والبهتان من الذين يدعون أن كتبهم الأناجيل الأربعة من وحي السماء، كما يدعون في عيسى تارة أنه إله، وتارة أنه ابن الله، وتارة أنه ثالث ثلاثة إلى غير ذلك من الافتراء والضلال.

كما أن التحقيق شرح بعض الألفاظ، واعتمد على بعض النسخ الموجودة في دار الكتب وترجم للبلدان والأشخاص، وخرج الأحاديث إلى غير ذلك من

التنسيق والتهذيب ووضع الأبواب والفصول، ولما كان القرآن الكريم حسم النزاع في قصة مريم وابنها عيسى عليه السلام وأنه بشر أوحي إليه، وأنه عبد من عباد الله اصطفاه الله لرسالته وأعطاه الكثير من المعجزات للدلالة على صدقه، وأنه تعالى جعله يتكلم في المهد كلام العقلاء فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ﴾ قال ذلك على مسمع ومرأى ممن تقولوا على مريم ورموها بالسوء والفحشاء.

ولما كان أهل الكتاب ينكرون القرآن الكريم جحودا واستكبارا عن قول الحق، ويحرفون ويبدلون في كتبهم اتباعاً للهوى والشيطان، فقد سخر الله ناسا قديماً وحديثاً من أهل الكتاب الذين أوتوا الحكمة والتبصر والفكر السليم فهداهم الله للإسلام عن إذعان ويقين، وأن ما كانوا عليه زور وضلال وإفك مفترى، فبينوا للناس حقيقة ما في هذه الكتب من اختراعات وترهات..

ومن هؤلاء الذين اهتدوا بهدي الإسلام صاحب تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، وقد كان قسًا وراهباً طالع ما في كتبهم، وقارن بينها وبين الكتاب الكريم فوجد الحق واضحاً فيما قصه القرآن الكريم في شأن عيسى عليه السلام، وبيّن أن أناجيلهم الأربعة من اختراعهم وأنها ألفت بعد رفع عيسى إلى السماء.. وهو خير شاهد على ذلك؛ لأنه كان من النصارى ويعرف عبادتهم وادعاءهم في عيسى عليه السلام، فهداه الله إلى الحق فأسلم عن يقين، ولم يكن هناك داع آخر إلى إسلامه إلا الحق، ثم ألف هذا الكتاب وبقي زمنا كثيرا في خزائن المكتبات إلى أن قيض الله له الأستاذ الفاضل الدكتور محمود علي حماية فأخرجه

من الظلمات إلى النور، وكان هذا عملاً جليلاً منه، ولو لم يكن له عمل غير هذا الكتاب لكفاه هذا العمل عند الله والناس، فجزاه الله خير ما يجازى به العاملون.

وفي الحق أن هذا العمل الجليل من المحقق بإخراج هذا الكتاب وتعليقه في الهامش قد أضاف تراثاً خالداً إلى تراثنا القديم، وأضفى للمكتبات نوعا جديدا ومبتكرا بهذا التحقيق المفيد وإنا لنرجو منه المزيد من تحقيق مثل هذا الكتاب من الكتب التي لم تنشر، والتي هي حبيسة الخزائن يعلوها التراب ويعرضها للتلف والضياع مع أن مؤلفيها قصدوا منها النفع العام والدفاع عن الإسلام.. ومما يشرح صدورنا ويطمئننا أن كثيراً من شبابنا المثقفين خاصة في الدراسات العليا نهضوا وفتشوا عن الكتب الأصيلة وأخرجوها في أبحاثهم، وفي مقدمة هؤلاء وهؤلاء الدكتور حماية الذي له نشاط ملحوظ في هذا المضمار فهو كثير البحث والاطلاع على دور الكتب كي يعثر على نفيس من هذه الكتب، التي لم تر النور فيخرجها من قبورها، ثم يقدمها بعد تحقيقها غير مبال بالمال والتعب لأن في ذلك خير ما ينفق في سبيل الله الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً، نسأل الله له المزيد من هذا النشاط العلمي المفيد، ليبارك الله في نشاطه وصحته وماله نفع الله به الكلية خاصة والأمة الإسلامية عامة.

سالم شرف

عضو مجمع البحوث الإسلامية

وأستاذ في الدراسات العليا

قسم العقيدة والفلسفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وصلاةً وسلاما على سيدنا محمد، الذي ختم الله به الأنبياء والمرسلين، وجعل رسالته عامة للبشر أجمعين.

وبعد: فإننا نقدم إلى قراء العربية كتاباً من أجل الكتب التي ألفت في علم مقارنة الأديان، الذي يعرف عند الغربيين باسم Comparative Religion ألفه الشيخ عبد الله الترجمان الذي كان قبل إسلامه قسيساً في جزيرة ميورقة (إحدى جزر البليار شرقي الأندلس)، ثم قدم تونس في زمن أمير المؤمنين أبي العباس أحمد الحفصي وأسلم، وأولاه قيادة البحر بالديوان، وبعد إتقانه اللغة العربية صار يترجم من الإيطالية والفرنسية إلى العربية.. وهذا الكتاب أطلق عليه صاحبه: "تحفة الأريب[1] في الرد على أهل الصليب" ويقول المستشرق الأسباني "آسين بلاثيوس": إن عبد الله الترجمان مؤلف هذا الكتاب كان قبل إسلامه قسيسا يدعى إنسلم تورميدا Encelm Turmeda وأن كتابه "تحفة الأريب" ترجم إلى الفرنسية، ونشر في مجلة تاريخ الأديان (المجلد الثاني عشر باريس سنة ١٨٨٥م)..

ولا يسعنا إلا أن ننوه بحرية الفكر التي وصل إليها علماء الغرب عندما يعنون بنشر كتب تدافع عن الإسلام، ولم تمنعهم صفتهم الدينية باعتبار بعضهم رهبانا يسوعيين من إحياء تراث قد يمس عقائدهم من قريب أو من بعيد.

---

(١) الأريب : العاقل.

وإذا كان هؤلاء الآباء قد سبقونا في نشر هذا الكتاب باللغة الفرنسية بعشرات السنين، فنحن بمثل هذه الروح نقدم هذا الكتاب محققا إلى وطننا العربي، لا لبعث مجادلات دينية لا طائل تحتها إزاء مشكلات العصر الحديث، وإنما لتتبع إحدى نواحي التفكير الديني في الثقافة العربية التي لم تبتعد عما دعا إليه الإسلام من توكيد مبدأ التسامح وتوثيق مشاعر الألفة بين المسلمين والمسيحيين[1].

وليس الكتاب الذي بين أيدينا الآن هو الكتاب الوحيد الذي سبقنا علماء الغرب إلى نشره ولفت الأنظار إليه، إنما يرجع إليهم الفضل – أيضا – في كشف رسالة الإمام أبي حامد الغزالي: (الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل) حيث نهض الأب روبير شدياق اليسوعي بتوجيه من أستاذه ماسينيون بتحقيق النص العربي لهذه الرسالة، ثم ترجمه إلى الفرنسية ونشره في باريس سنة ١٩٣٩م.

ويؤسفنا أن الرسالة ظلت بعيداً عن القارئ العربي – الذي كتبت له – حتى عام ١٩٧٣م عندما قام صديقنا العلامة عبد العزيز عبد الحق بنشرها في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

أما موسوعة ابن حزم في الأديان التي تعرف بـ"الفصل في الملل والأهواء والنحل" والتي استطاع صاحبها أن يقدم دراسة نقدية للعهدين القديم والجديد أثبت خلالها تحريف هذه الكتب، وأنها من وضع البشر، وليست من لدن حكيم عليم.

---

(١) راجع: الأستاذ عبد العزيز عبد الحق، مقدمة الرد الجميل ص٣.

أقول: إن هذه الموسوعة توفر على دراستها وترجم بعض أجزائها إلى الأسبانية الراهب الأسباني "أسين بلاثيوس" وأصدرها في خمس مجلدات في مدريد من سنة ١٩٢٧ إلى سنة ١٩٣٢م.

ولست الآن في مجال حصر الأبحاث والدراسات الإسلامية الجادة التي ترجمها أو حققها علماء غربيون لا يدينون بالإسلام. وإنما الذي نشير إليه أن آفاق البحث العلمي يجب أن تظل بمنأى عن الصراعات الطائفية، وأن هذه المجادلات كانت تجري في القديم بين المسلمين وأهل الذمة في جو من السماحة وحسن المعاشرة فيما بينهم، والذي يطالع القرآن الكريم والسنة النبوية يجد من خلالهما دعوة للمودة الحانية على أهل الكتاب. وذلك كقوله تعالى: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1].

وقول نبي الإسلام ﷺ "من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه"[2].

ولقد حكى التاريخ أن أهل الذمة عاشوا طوال أربعة عشر قرناً في الدولة الإسلامية يجدون كل سماحة ويسر، لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

وانطلاقاً من هذه النظرة الخيرة ازدهر علم مقارنة الأديان وألف فيه علماؤنا الأجلاء كتباً نضرت وجه التاريخ.

---

(١) سورة العنكبوت : آية ٤٦.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الكبير ٢٠٩/١ طبعة الهيئة المصرية للكتاب، وذكره أبو يوسف في كتاب الخراج.

ومن أقدم الرسائل التي كتبت في هذا المجال رسالة للجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ أسماها: (الرد على النصارى) سعى في نشرها يوشع فنكل وطبعت في المطبعة السلفية سنة ١٣٨٢هـ، وفي هذه الرسالة نرى مؤلفها على ما عرف عنه من ذكاء وألمعية، أنه لم يدرك – حسب ما يبدو لنا – غور عقائد الفرق المسيحية المختلفة، فهو حائر في فهم تشقيقاتها واستجلاء غوامضها، استمع إليه وهو يقول: "ولو جهدت بكل جهدك وجمعت كل عقلك أن تفهم قولهم في المسيح، لما قدرت عليه حتى تعرف به حد النصرانية، وخاصة قولهم في الإلهية، وكيف تقدر على ذلك، وأنت لو خلوت ونصراني[1] نسطوري فسألتهم عن قولهم في المسيح لقال قولاً، ثم إن خلوت بأخيه لأمه وأبيه وهو نسطوري مثله، فسألته عن قولهم في المسيح لأتاك بخلاف قول أخيه وضده، وكذلك جميع الملكانية واليعقوبية، ولذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية كما نعرف جميع الأديان"[2].

وقد كان اليعقوبي المتوفى سنة ٢٩٢هـ من المؤرخين القدامى الذين تحدثوا عن ملوك الروم المتنصّرة (١٥٣/١)، وخاصة قسطنطين الذي عقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، وحضره ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا.. ثم يعطينا فكرة عن عقيدة نسطور الذي كان يقول إن: "الأب ولد الإله ولم يلد الإنسان، والأم ولدت إنسانا، ولم تلد الإله" وتحت عنوان: "المسيح عيسى بن مريم" (٦٨/١) يورد اليعقوبي دراسة عن الأناجيل مما يؤكد اطلاع المؤلف عليها.

---

(١) الصحيح : نصرانيا نسطوريا.

(٢) الجاحظ: الرد على النصارى ص٢٢.

أما المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ فقد أورد مبحثاً عن المسيحية في كتابه الموسوم "بالتنبيه والإشراف" (من ص١٣٥ إلى ص١٦٥).

ومن الكتّاب الإسلاميين الذين عرفوا بالدقة في حكاية مقالات النصارى أبو الريحان البيروتي الخوارزمي المتوفى سنة ٤٤٠هـ، فقد قدم لنا معلومات مستفيضة في كتابه: "الآثار الباقية عن القرون الخالية" عن الأناجيل مبيناً أنها أربع نسخ، كل إنجيل يخالف ما في الآخر، وقد أكد قوله بما أورده متى ولوقا عن نسب المسيح (عليه السلام) ، ثم نراه يحدثنا عن فرق النصارى ومذاهبهم، مشيراً إلى فرقة أريوس الذي كان رأيه في المسيح أقرب إلى ما عليه أهل الإسلام وأبعد مما يقول به كافة النصارى على حد تعبيره.

ويتحدث البيروني حديثاً شيقاً عن مراتب زعماء النصارى الكهنوتية وشعائرهم الدينية، مثل المعمودية وغيرها.

ومهما يكن من أمر، فقد عقد المستشرق "كارا دي فو" مقارنة بين ما كتبه البيروني والمسعودي عن المسيحية، وبين أن البيروني كان أكثر معرفة من المسعودي (بالمسيحية)، وكان يعرف كثيراً من نصوص الأناجيل، ويتحدث عن هذه النصوص في شئ من النقد[(١)].

وللإمام زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي كتاب في التاريخ أورد فيه لُمَعاً عن أمة النصارى (١/١٠٤) فذكر فرقهم – نقلا عن الشهرستاني – وتحدث عن صلوات النصارى وصومهم وأعيادهم حديثاً يدل على وعي ودراية (١/١٠٦).

---

(١) مادة إنجيل (دائرة المعارف الإسلامية).

أما موسوعة القلقشندي التي تعرف (بصبح الأعشى) فلا ريب أنها تحتوي على كثير من المعلومات القيمة عن الديانة النصرانية، ففيها حديث مفصل عن عقائدهم، وفرقهم، وأعيادهم، وألقاب أرباب وظائفهم كالبابا والبطرك، والأسقف، والمطران وغير ذلك من الألقاب التي أوصلها القلقشندي إلى ثمانية.

أما المقدسي فقد أورد في كتابه: (البدء والتاريخ) مباحث هامة عن الديانة النصرانية تناول فيها فرقهم التي تتفق على أن معبودهم ثلاثة أقانيم وهذه الأقانيم شئ واحد.

ثم يتكلم عن عقيدة التجسد والصلب والقيامة، وبعد أن أورد اختلافاتهم، وأنه لا يكاد يوجد منهم اثنان على قول واحد، نراه يعقب قائلاً: "وليس هذا موضع الرد عليهم".

وهناك كتاب مفقود للإمام أبي الحسن الأشعري يدعى كتاب (الفصول) رد فيه – الأشعري – على اليهود والنصارى[1].

ومن المؤلفات القيمة التي نشرت في مصر (كتاب الأجوبة الفاخرة) لأحمد بن إدريس القرافي المالكي المتوفى سنة ٦٨٤هـ، وكتاب (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) لتقي الدين أحمد بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ، وكتاب (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى) لابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ.

ومن الرسائل الأخرى القصيرة التي كتبها الأندلسيون رسالة كتبها أبو القاسم القيسي في الرد على النصارى، وقد نشر آسين بلاثيوس النص العربي لها مع ترجمته إلى الأسبانية في سنة ١٩٠٩م.

---

(١) عبد العزيز عبد الحق: مقدمة الرد الجميل ص٧٨.

وهناك كتاب آخر لابن أبي عبيدة (بفتح العين المهملة) الأنصاري الخزرجي المتوفى سنة ٥٨٢هـ رد فيه على بعض القسيسين في طليطلة أسماه: (مقامع الصلبان في الرد على عبدة الأوثان) وقد قام الأستاذ الدكتور محمد شامة بتحقيقه ونشره بعنوان: (بين الإسلام والمسيحية).

فإذا ولينا وجهنا شطر الكتب الحديثة وجدنا العديد من المؤلفات التي تتحدث عن النصرانية وتناقش عقائدها وتؤرخ لها.. ولكن وسط الخضم الهائل من هذه المؤلفات، يمكن أن نشير إلى الدراسة الجادة التي قدمها الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه: "محاضرات في النصرانية".

وخير من هذا الكتاب – وخاصة للمتخصصين – كتاب العلامة رحمة الله الهندي: "إظهار الحق" الذي يدل على قوة عقله وسعة علمه، فهو – بحق – من أحفل الكتب وأجلها التي ألفت في عالمنا العصري، وما من باحث أو دارس إلا رجع إليه، واستقى من فيض علمه، وبحر معارفه.

وكتاب (تحفة الأريب) الذي بين أيدينا الآن تبدو قيمته العلمية عندما ندرك - كما سبق أن ذكرنا – أن صاحبه كان قريب عهد بالمسيحية، بل واحداً من قسيسيها تلقى دراسة في الكتاب المقدس، وانقطع لطلب العلم فترة طويلة استطاع أن يصحب فيها أساطين العلم بالديانة النصرانية أمثال: (نقلاد مرتيل) الذي كانت منزلته في العلم والدين عند النصارى رفيعة جدًّا، انفرد بها في زمنه عن جميع أهل دين النصرانية[1]. واستطاع المؤلف من خلال رحلاته لطلب العلم

(١) انظر ص٤١.

أن يحصل الكثير من العلوم والمعارف فقرأ الإنجيل حتى حفظ شطره، وأخذ في تعلم العلوم الأخرى مثل المنطق والطب والتنجيم، وقد أحاط بعديد من اللغات يمكن أن نذكر منها الأسبانية والإيطالية والفرنسية واليونانية، وقد أشار إلى اللغة الأخيرة بقوله: "ثم أخذت في تعلم لغة الإنجيل وعلم المنطق مدة ست سنين" ويقول في موضع آخر: "ثم تصدرت فيها – أي مدينة لاردة بأسبانيا – أقرأ الإنجيل ولغته ملازماً ذلك مدة أربع سنين".

ثم أضاف إلى ذلك معرفته باللغة العربية التي تعلمها بعد إسلامه عندما عمل قائدا في البحر، يترجم بين النصارى والمسلمين حتى حفظ اللسان العربي في مدة عام لكثرة ما يتكرر عليه – على حد تعبيره[1].

وتبدو مكانة المؤلف وتمكنه من علوم الديانة النصرانية من شهادة علماء النصارى له، عندما سألهم عنه أبو العباس أحمد الحفصي فقالوا: "هذا يا مولانا عالم كبير في ديننا وقال مشايخنا ما رأينا أعلى منه في العلم والدين في ديننا"[2]. ومن ثم فنحن نؤكد أن: "إنسلم تورميدا" مؤلف هذا الكتاب كان دخوله في الإسلام باختياره رغبة في دين الحق، فهو إيمان عن رغبة وعن علم ومعرفة، وليس عن تقليد وتبعية، فهو أشبه بكبار الفلاسفة الذين يدخلون الإسلام في عصرنا الحاضر أمثال روجيه جارودي، وموريس بوكاي، وغيرهما من فلاسفة الغرب وعلمائه.. ومما يؤكد ما ذهبنا إليه أن قسيساً جاءه من أرض الأندلس

---

(١) انظر ص٤٩.

(٢) انظر ص٤٨.

ليأخذه بالصداقة التي كانت بينهما، فرفض الرجل أن يعود للنصرانية مرة أخرى، وقال للخليفة في عهده في قوة وإباء: "يا مولاي أسلمت باختيار رغبة في دين الحق".

وعندما نتأمل قصة إسلام صاحب هذا الكتاب ندرك أمورا ينبغي أن نقف عندها:

أولاً :

(أ) أن كثيراً من العلماء والمفكرين عندما يتجردون من الأهواء، لا يترددون في اختيار ما يرونه حقاً، سواء أكان هذا الحق مذهباً، أم فلسفةً، أم ديانةً، ونحن نجد أمثلة على ذلك في القديم والحديث، ففي القديم: نجد عبد الله بن سلام، وعبد الله الترجمان (صاحب هذا الكتاب) وغيرهما.. وفي الحديث نجد الفيلسوف الفرنسي جارودي، والعالم الطبيب موريس بوكاي، الذي درس الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة في كتاب صدر باللغة الفرنسية، ثم ترجم إلى اللغة العربية وغيرها من اللغات الحية. واستطاع المؤلف في هذا الكتاب القيم أن يثبت بالأدلة العلمية أن القرآن الكريم هو الكتاب المقدس الوحيد الذي خلا من التحريف والتبديل.

(ب) يمكن أن نأخذ من قول "نقلاد مرتيل" – شيخ عبد الله الترجمان – "وأنا الحمد لله على دين عيسى وعلى ما جاء به يعلم الله ذلك مني" أنه كان مسلماً بينه وبين الله، والذي منعه من إعلان إسلامه خوفه من بني

جلدته من جانب، وحبه للدنيا من جانب آخر، وحب الدنيا رأس كل خطيئة، كما ذكر هو عن نفسه.

(ج) وأحسب أن كثيراً من علماء الأديان الأخرى وأئمتهم يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم، وما يمنعهم من إعلان الحق والحقيقة إلا تلك الأسباب التي أشار إليها "مرتيل" فالرغبة والرهبة كثيراً ما تبعد عن الحق وتصد عن السبيل.

ثانيا : وصف النسخ :

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على المخطوطات الآتية:

النسخة الأولى :

- ورقمها في دار الكتب المصرية (علوم اجتماعية ٢٤٣).
- وعدد أوراقها : أربعة وثلاثون ورقة.
- وتاريخ نسخها : سبع بقين من شهر ذي الحجة سنة ١٢٣٦هـ.
- مسطرتها : ثلاثة وعشرون سطراً، ومعدل كلمات السطر عشر كلمات.
- وكتب النسخة بخط جيد.
- وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف (أ).

النسخة الثانية :

- وهي موجودة بدار الكتب تحت رقم ٤٨٩.
- وعدد صفحاتها ثلاث وسبعون صفحة.
- ونسخها : عبد الكريم بن عبيد العمري.

- وتاريخ نسخها : يوم الأحد تسع وعشرون من ربيع الأول من شهور سنة ١٢٤٥هـ.

- وكتبت النسخة بخط عادي.

- بها بعض التصحيحات في الهامش، وكذا شرح لبعض الكلمات.

- وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف (ب).

النسخة الثالثة :

- وتوجد بدار الكتب تحت رقم (علم الكلام ١٣٠١).

- وتاريخ نسخها : الاثنين ٢٤ ربيع الأول سنة ١٢٦٢هـ.

- وعدد أوراقها : ست وتسعون ورقة.

- مسطرتها : ثلاثة عشر سطرا.

- وكتبت النسخة بخط عادي.

- وصفحة العنوان مكتوب عليها ما يأتي:

"هذا كتاب تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب بالتمام والكمال والحمد لله على كل حال".

وتحت هذا مباشرة: "مشترى من تركة قاسم باشا وأضيف – ٢٦ أبريل سنة ١٨٨١هـ".

- وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف (ق).

النسخة الرابعة :

وتقع في اثنتين وستين صفحة من الحجم الصغير.

- كتبت بخط دقيق.

- وطباعتها ليست جيدة.

- بها بعض الحواشي التي تنسب لرجل يدعى "الشيخ عبد الله بك".

- وصفحة العنوان لا يوجد عليها إلا عنوان الكتاب "تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب" وتحته للشيخ عبد الله الترجمان. وليس عليها ذكر للمطبعة التي طبعت فيها أو تملك أو شراء أو غير ذلك.

- وفي الصفحة الأخيرة كتب تاريخ سنة ١٢٩٠.

ثالثا: منهجي في التحقيق:

اتبعت في تحقيق هذا الكتاب ما يلي:

١- قمت بكتابة نسخة من الكتاب عن النسخة المطبوعة وعرضتها عليها وعلى النسخ الأخرى مثبتاً للفروق بين النسخ المختلفة.

٢- ثم عدت أقرأ نص الكتاب بتأمل وتدبر، فإذا عرضت لي كلمة أو عبارة اختلفت النسخ فيها، دققت النظر واستعنت بالمراجع المختلفة، ثم تخيرت الأصوب، أو الأنسب، أو الأقرب لروح المؤلف من تلك الروايات فوضعته في صلب الكتاب، ووضعت ما يقابله من النسخ الأخرى في الحاشية، ولم ألتزم بلفظ نسخة بعينها.

٣- تركت فروق النسخ التي لا تغير المعنى، ولا تفيد في تقويم النص وذلك مثل التقديم والتأخير، وعبارات الثناء على الله سبحانه وعبارات الصلاة

على سيدنا محمد ﷺ، وقد كانت رغبتي من وراء ذلك تخفيف هوامش الكتاب.

٤- صححت الآيات القرآنية والأخطاء النحوية التي ترجح عندي أنها من الناسخ دون إشارة إليها في الهامش.

٥- ترجمت للأعلام التي وردت في ثنايا الكتاب وبينت مواضع الآيات الكريمة، وخرجت نصوص التوراة والإنجيل التي وردت في الكتاب مشيرا إلى السفر والإصحاح ورقم الآية، وإذا وجد اختلاف في المعنى بين العبارة التي يوردها المؤلف وبين الترجمة الحديثة كنت عادة أذكر نص الترجمة الحديثة للبروتستانت حتى يظهر الفرق بين الترجمتين.

٦- عرّفت بالأماكن التي وردت في الكتاب مستعينًا بأمهات الكتب الخاصة بذلك، كما استعنت بالمعاجم الحديثة لما تمتاز به من توضيح وبيان.

وبعد..

فلقد عشت مع العلامة عبد الله الترجمان، وكتابه "تحفة الأريب" فترة ليست بالقصيرة، أنسخ النص وأراجعه وأخلصه من شوائب التحريف والتصحيف، وأستكمله من هذه النسخة أو تلك، وأقابله بهذا المرجع أو ذاك، وأناقش قضاياه، وأحل مشكله، وأوضّح معضله.

وقديما قال الجاحظ: "ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفًا أو كلمة

ساقطة، فيكون إنشاء عشر ورقات من حر اللفظ وشريف المعنى، أيسر عليه من إتمام ذلك النقص حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام".

ورحم الله الجاحظ.

ورحم الله مؤلف هذا الكتاب.

وأعان كل باحث يعمل بجد ومثابرة لتحقيق تراثنا، وإشاعته بين العالمين.. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مصر الجديدة

٢٩ ذو الحجة ١٤٠٣هـ

الموافق ٦ أكتوبر ١٩٨٣م

دكتور / محمود علي حماية

تحفة الأريب

في الرد على أهل الصليب

للعلامة عبد الله الترجمان

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الحمد لله وحده، وإليه يرجع الأمر كله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد:

يقول الشيخ عبد الله بن عبد الله الترجمان[1]، جعل الله مضجعه ومأواه فسيح الجنان.

لما منّ الله علي بالهداية إلى الصراط المستقيم، والدخول في دين الله القويم، الناسخ[2] لكل دين، الذي بعث به حبيبه وصفيه محمدا عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ونظرت في دلائله القاطعة، وبراهينه الساطعة، فإذا هي لا تخفى على من له أدنى تمييز، إلا[3] من لا يبصر بيض النعام في الشونيز[4].

ووجدت تصانيف علمائنا الإسلاميين – رضي الله عنهم – محتوية على ما لا مزيد عليه، إلا أنهم – رحمهم الله – قد سلكوا في معظم احتجاجهم على أهل

---

(١) الترجمان: هو الذي ينقل الكلام من لغة إلى أخرى.. وفيه لغات ثلاث: الأولى فتح التاء والجيم معا والثانية: ضمهما معا، والثالثة: فتح التاء وضم الجيم (انظر الخزاعي التلمساني: تخريج الدلالات السمعية).

(٢) (الناسخ لكل دين) من أ ، ب.

(٣) أ : "إلا على من".

(٤) (من الشونيز) سقطت من ط، وفي (أ) في الشونيز، والصحيح ما أثبت. والشونيز: هو الحبة السوداء.

الكتاب من النصارى واليهود مسلك مقتضيات المعقول – إلا الحافظ[1] أبو محمد[2] ابن حزم[3] – رحمه الله – فإنه قد رد عليهم بالمعقول والمنقول، خصوصاً[4] ما في كتبهم – وأعرضوا عن الاحتجاج عليهم بمقتضى المنقول، إلا في نادر من المسائل.

فكنت شديد الحرص على أن أضع في الرد عليهم موضوعاً بطريق النقل وحقيقة الإنصاف، الذي يجمع بين النقل والقياس، وتتفق عليه العقول والحواس، أبين[5] فيه باطلهم، وما أسسوه[6] من القول بالتثليث، والأخذ بذلك المذهب الخبيث، وأذكر مع ذلك أناجيلهم ومن ألفها، وشرائعهم ومن صنفها، وفساد[7] عقولهم، وإبطال كفرهم في منقولهم، وافترائهم على عيسى المسيح، وكذبهم على الله في أمره بالصريح[8]، وأذكر مقال القسيسين واعتقادهم

---

(١) في المخطوطة : بل الحافظ، والصحيح ما أثبت.

(٢) في المخطوطة : محمد، والصحيح: "أبو محمد" وهي كنية الإمام ابن حزم التي وردت في كتبه.

(٣) هو الإمام أبو محمد علي بن سعيد بن حزم القرطبي الأندلسي، كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقيهاً مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة، قال عنه صاعد بن أحمد الأندلسي: "كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة مع توسعة في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار" وذكر المترجمون له، نقلاً عن ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تواليفه نحو أربعمائة مجلد ومن أشهر هذه المؤلفات كتابه الكبير: "الفصل في الملل والأهواء والنحل" الذي قمت بدراسته وتحقيقه في رسالتي للدكتوراه.. توفي رضي الله عنه سنة ٤٥٦هـ.

(٤) (خصوصا.. المسائل) سقط من ط.

(٥) ط : وأبين.

(٦) أ : "وما أثبتوا".

(٧) ط : "وإفساد".

(٨) أ ، ط : "بالتصريح" و"في أمره" سقط من ق ، ط.

واحتيالهم[1] وتركهم للإنجيل المنزل على عيسى (عليه السلام) وجحدهم فيه من صفات نبينا محمد ﷺ ثم نذكر حقيقة قربانهم[2] وسجودهم لصلبانهم – أبعدهم الله تعالى وأخزاهم – حتى ألهمني الله تعالى إلى الرأي السديد في تأليف هذا المختصر السعيد.

وقد ابتدأت فيه بذكر بلدي، ونشأتي[3]، ثم رحلتي عن ذلك المقام، ودخولي في دين الإسلام، والإيمان بسيدنا محمد (عليه أفضل الصلاة والسلام).

ثم أتبعت ذلك بما غمرني من إحسان مولانا أمير المؤمنين أبي العباس[4] أحمد بن فارس، سلالة الأمراء الراشدين، وبعض ما اتفق لي في أيامه، ثم في أيام ولده مولانا أمير المؤمنين أبي فارس عبد العزيز[5]، ونذكر طرفا من سيرته

---

(١) ط : "واحتيالهم وفسادهم للإنجيل" وفي أ : "واحتيالهم وتركهم للإنجيل".

(٢) القربان: هو أحد أسرار الكنيسة السبعة، ويسمى بالعشاء الرباني، أو مسألة الاستحالة لأن المسيحيين يأكلون يوم الفصح خبزاً ويشربون خمراً وتزعم الكنيسة أن ذلك الخبز يستحيل إلى جسد المسيح، وذلك الخمر يستحيل إلى دم المسيح فمن أكلهما فقد أدخل المسيح في جسده بلحمه ودمه، وقد كانت تلك المسألة من العوامل التي أدت إلى ظهور فرقة الإصلاح الديني التي تدعى "البروتستانت" أي المحتجين. (انظر: الأستاذ محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ٢٠٢).

(٣) ط ، ق : "ومنشئي".

(٤) هو أبو العباس أحمد بن المستنصر، كان شجاعا، دينا، عاقلا، صفوحا، عاهد الله أن لايكافئ أحداً عمل سوءاً إلا بخير ومن حسناته إقامة القراءة للقرآن في كل أسبوع بجامع الزيتونة وأوقف عليه أوقافا. بويع في تونس يوم السبت الثامن عشر من ربيع الثاني سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة، وتوفي في شعبان سنة ست وتسعين وسبعمائة، فكانت ولايته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأياما رحمه الله. (راجع في ترجمته: الحلل الهندسية الجزء الأول (القسم الثاني) ص١٠٦٥-١٠٧١ وراجع أيضا: إتحاف أهل الزمان ١/٢٢٨-٢٣٠).

(٥) هو أبو فارس عبد العزيز بن أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن يحيى، بويع أثر موت ابيه (أبي العباس) فجمع الكلمة، وأصلح البلاد، وقمع أهل الفساد، وكان شجاعا، حازما، تقيا، معتقدا في الصالحين، مقرًا للعلماء، كثير الصدقات فطنا ذكيًا. وفي أيامه عظم الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.

الحميدة، وآثاره الجميلة، ثم أتبعت ذلك بما تقدم ذكره من الرد على ديـن النصرانية وثبوت فضل الملة المحمدية، ولما حصل هذا المختصر الغريب[1]، على هذا الترتيب سميته (تحفة الأريب[2] في الرد على أهل الصليب) وجعلته ثلاثة فصول؛ ليسهل مطالعته على[3] الناظر، ولا يمله الخاطر[4].

الفصل الأول:

في ابتداء إسلامي، وخروجي من الملة النصرانية إلى الملة الحنيفية، وفيما غمرني من إحسان مولانا أمير المؤمنين أبي العباس أحمد. وما اتفق[5] لي في أيامه.

الفصل الثاني:

فيما اتفق لي في أيام مولانا أمير المؤمنين أبي فارس عبد العزيز، ونذكر طرفاً من سيرته الحميدة، وآثاره الجليلة، وقت تصنيفي لهذا[6] الكتاب، وهو عام ثلاث وعشرين وثمانمائة من الهجرة النبوية.

ومن حسناته خزانة الكتب بجامع الزيتونة التي نوه المؤرخون بعدد أسفارها، ومنها صدقاته الجارية لأهل الحرمين الشريفين كل سنة، وله زوايا في الطرق لمبيت أهل السبيل، ومنها قراءة صحيح البخاري كل يوم بين الظهرين بجامع الزيتونة، وقراءة الترغيب والترهيب بعد العصر. توفي يوم عيد الأضحى بعد أن تطهر وانتظر الصلاة سنة ٨٣٧هـ وكانت ولايته أربعين سنة وأربعة أشهر. (راجع: إتحاف أهل الزمان ١/٢٣٠-٢٣٣، وراجع أيضا: الحلل السندسية الجزء الأول (القسم الثاني) ص١٠٧١-١٠٧٧).

(١) سقط من ق.
(٢) أ : "اللبيب".
(٣) ق : "للناظر".
(٤) أ : "ولا يمل منه".
(٥) ب ، ق : "بعض ما اتفق".
(٦) ب ، ق : "هذا".

الفصل الثالث :

في[1] مقصود الكتاب من الرد على النصارى في دينهم، وثبوت نبوة سيدنا محمد ﷺ بنص التوراة والإنجيل، وسائر كتب الأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين). وبتمامه يتم الغرض في تصنيف هذا الكتاب بحول الله تعالى.

(١) أ : "وسبع" أ : "من".

الفصل الأول

اعملوا – رحمكم الله – أن أصلي من مدينة ميورقة[١]. أعادها الله تعالى للإسلام، وهي مدينة كبيرة على البحر بين جبلين، يشقها[٢] واد صغير، وهي مدينة متجر، وفيها[٣] مرسيان ترسى بهما[٤] السفن الكبيرة بالمتاجر الجليلة.

والمدينة[٥] تسمى باسم الجزيرة ميورقة[٦]، وأكثر غلتها[٧] زيتون وتين، ويحمل منها في[١] عام خصابة زيتونها أزيد من عشرين ألف بتية[٢] من الزيت

---

(١) ميورقة: مدينة ضخمة في أسبانيا، يبلغ سكانها مائة وخمسين ألفا، معظمهم من القطلان، غزاها عبد الله بن موسى بن نصير سنة ٧٠٨م. بيد أن المسلمين لم يبسطوا سيادتهم على تلك الجزائر قبل منتصف القرن التاسع الميلادي حينما بعث عبد الرحمن بن الحكم أمير الأندلس، حملة بحرية إلى ميورقة في سنة ٨٤٧ أخضعها، وفرضت عليها الجزيرة وفي سنة ٩٠٣ كان الفتح الحقيقي للجزائر على يد زعيم مجاهد يدعى عصام الخولاني، تصارع حملات النصارى المتعاقبة عليها من الجنويين والبيزين والقطلان، حتى سقطت نهائيا في أيدي النصارى بقيادة ملكهم خايمي الأول ملك أراجون الملقب بالفاتح، وذلك في سنة ١٢٣٢م (٦٣٠هـ). (انظر: الآثار الأندلسية الباقية، لعبد الله عنان، وصفة جزيرة الأندلس ص١٨٨ للحميري).

(٢) ب : "يشقها واد كبير" وفي أ : "وبجوارها واد صغير".

(٣) ظ ، ق : "ولها".

(٤) أ : "فيها".

(٥) أ : "والمدينة في جزيرة تسمى ميورقة".

(٦) ميورقة: جزيرة (٧٠٠كم٢ و٤٢٤٧٨ نسمة) بأسبانيا في غرب البحر المتوسط، ثاني جزر البليار من حيث المساحة: أهم مدنها "بورت ما هون" تنتج الحبوب، والفواكه، ولاسيما التين والبرتقال، ومن أعظم صادراتها زيت الزيتون حيث تغطي غابات الزيتون مساحات واسعة منها، عاصمة الجزائر كلها مدينة ميورقة التي منها المؤلف، وهي تقع في غرب ميورقة على خليج يتخذ صورة القوس (انظر الموسوعة العربية الميسرة، والآثار الباقية لعنان، وصفة جزيرة الأندلس للحميري ص١٨٨).

(٧) ظ ، ب : "غاباتها".

ويحمل منها في[1] عام خصابة زيتونها أزيد من عشرين ألف بتية[2] من الزيت لبلاد مصر والاسكندرية، وبجزيرة ميورقة المذكورة أزيد من مائة وعشرين حصنا مسورة عامرة، وبها[3] عيون ماء كثيرة تشق جميع جهاتها، وتصب في البحر.

وكان[4] والدي محسوبا من أهل حاضرة ميورقة ولم يكن له ولد غيري، ولما بلغت ست سنين من عمري أرسلني إلى معلم من القسيسين[5]، فقرأت[6] عليه الإنجيل حتى حفظت[7] أكثر من شطره[8] في مدة سنتين، ثم أخذت في تعلم لغة الإنجيل[9]، وعلم المنطق، مدة ست سنين، ثم ارتحلت من بلدي ميورقة إلى مدينة لاردة[10] من أرض القطلان[11]، وهي مدينة العلم عند النصارى في ذلك

---

(١) أ : "في وقت أوانه أزيد".
(٢) بتية: هي برميل كبير (معجم تيمور الكبير ١١١/٢).
(٣) أ : "وبها عين ماء كبيرة من الماء، تروي جميع جهاتها".
(٤) أ : "وكان والدي من أكابر ميورقة".
(٥) القسيسين:جمع قس، بفتح القاف، رئيس من رؤساء النصارى في الدين وهو الآن في مرتبة بين الأسقف والشماس (المعجم الوسيط ٧٣٤/٢).
(٦) ب : "قرأت".
(٧) أ : "حفظته في مدة يسيرة".
(٨) الشطر: نصف الشئ، ويستعمل في الجزء منه (المعجم الوسيط ٤٨٢/١).
(٩) أ : "الإنجيل والمنطق في سنتين".
(١٠) لاردة: مدينة تقع غربي ثغر برشلونة، على قيد نحو مائة وخمسين كيلو مترا منها، ولاردة مدينة كبيرة مستطيلة الرقعة، تمتد على الضفة اليمنى لنهر "سجرى" ويخترقها من الوسط "الشارع الكبير" وهو شارعها التجاري الذي يغص بالمتاجر والمقاهي، ومنه تتفرع الشوارع الجانبية سقطت لاردة في يد كونت برشلونة رامون برنجار الرابع في سنه ٥٤٤هـ (١١٤٩م) وعبر واليها المسلم ابن هلال البحر ملتجئا إلى أمير ميورقة ويقول الحميري في وصفها: "مدينة لاردة خصيبة على الجدوب، ولها بساتين كثيرة، وفواكه غزيرة، وهي مخصوصة بكثرة الكتان وطيبه، ومنها يتجهز الكتان إلى جميع نواحي الثغور".
(١١)أرض القطلان: هي التي تعرف بقطالونيا (كتالونا بالأسبانية) (مساحتها ٣١٩٣٩كم٢) وسكانها ٢٨٩٠٩٧٤ نسمة منطقة شرق أسبانيا، تمتد من جبال البرانس جنوبا على طول البحر المتوسط، وعاصمتها التاريخية برشلونة أهم

القطر. ولها واد كبير يشقها، ورأيت التبر مخلوطاً برملها[1]، إلا أنه صح عند جميع أهل ذلك القطر أن النفقة في تحصيله لا تفي بقدر فائدته فلذلك ترك.

وبهذه المدينة فواكه كثيرة، ورأيت الفلاحين فيها[2] يقسمون الخوخة على[3] أربعة أفلاق، ويعضونها[4] في الشمس، وكذلك القرع[5] والجزر، فإذا أرادوا أكله[6] في الشتاء نقعوه[7] في الليل بالماء، وطبخوها كأنها طرية في أوانها.

وبهذه المدينة يجتمع طلبة العلم من النصارى وينتهون إلى ألف رجل أو ألف وخمسمائة، ولا يحكم فيهم إلا القسيس الذي يقرأون عليه، وأكثر نبات[8] أوطانها الزعفران[9] فقرأت فيها الطبيات[10] والنجامة مدة ست سنين، ثم تصدرت فيها أقرأ الإنجيل ولغته ملازماً ذلك مدة أربع سنين.

صناعاتها الزراعة، وإنتاج النبيذ، وزيت الزيتون (الموسوعة العربية الميسرة ١٣٨٧).

(١) أ ، ب ، ط : "برمله".

(٢) أ ، ق : "بها".

(٣) سقط من ق .

(٤) ط ، ق : "ويمرقونها".

(٥) ب : "القرع والجوز" وفي أ : "القرع واللوز والجوز".

(٦) أ : "أكلها".

(٧) أ : "تقعوها".

(٨) أ : "محصولاتها".

(٩) الزعفران: نبات بصلي معمر من الفصيلة السوسنية، منه أنواع برية، ونوع صبغي طبي مشهور، وزعفران الحديد صدؤه (المعجم الوسيط ٣٩٤).

(١٠) أ : "الطبيعة والتنجيم".

ثم ارتحلت إلى مدينة بانولية[١] من أرض الأنبرية[٢]، وهي مدينة كبيرة جدًا بنيانها بالآجر الأحمر الجيد، لعدم معدن[٣] الحجر عندهم، ولكن لكل معلم من[٤] أهل صناعة الآجر طابع[٥] يختم به، وعليهم أمين مقدم يحتسب[٦] عليهم في طيب طين الآجر وطبخه فإذا[٧] تفلح أو تفرك منه شيء غرم الصانع[٨] الثمن وعوقب بالضرب، وهذه مدينة علم عند جميع أهل ذلك القطر، ويجتمع بها[٩] كل عام من الآفاق أزيد من ألفي رجل يطلبون[١٠] العلم، ولا يلبسون إلا الملف[١١] الذي هو صباغ الله.

ولو[١٢] يكون منهم طالب العلم سلطاناً أو ابن سلطان. فلا يلبس إلا ذلك،

---

(١) أ : "بلونية" وفي ط : "تبونية" ق : "ينونية" ولعلها مدينة بنبلونة: التي تبعد ثلاثمائة وخمسين كيلو متراً من مدريد على الضفة اليمنى لأحد أفرع نهر أيبسروا، وهي مدينة جميلة ذات شوارع فسيحة مستقيمة، وميادين شاسعة ويشتغل أهل بنبلونة بالزراعة والصناعة، ومن منتجاتها الأقمشة والصابون والورق والحديد وبنبلونة مركز ثقافي هام، وبها معهد ديني كبير ومدارس كثيرة، وهذه المدينة عاصمة ولاية نافار أو نبرة التي كانت من أشد الولايات الأسبانية مقاومة للمسلمين (الآثار الأندلسية الباقية ٣٠٧).

(٢) ط : "الأبزدية" وفي أ : "الأنبرونة".

(٣) ط ، ق : "معادن".

(٤) أ : في.

(٥) ط : "طابع يخصه وعليهم".

(٦) أ : "فتحسب في طيبته طين الآجر وطبخه".

(٧) أ : "ومهما تفلح أو تفرد".

(٨) ط : "الذي صنعه قيمته".

(٩) أ : "فيها".

(١٠) أ : "يطلب" .

(١١) الملف: كمقص، لحاف يلتف به (تاج العروس ٦/٣٤٧).

(١٢) أ : "ولو كان سلطانا".

ليمتاز الطلبة من غيرهم، ولا يحكم فيهم إلا القسيس، الذي يقرءون عليه، فسكنت بها، وفيها كنيسة لقسيس كبير السن وعندهم كبير القدر، اسمه نقلاد مرتيل[1]، وكانت منزلته عندهم[2] بالعلم والدين والزهد رفيعة جدًّا، انفرد بها في زمنه عن جميع أهل دين النصرانية، فكانت الأسئلة خصوصاً[3] في دينهم ترد عليه من الآفاق من جهة الملوك وغيرهم، وصحبة الأسئلة من الهدايا الضخمة ما هو الغاية في بابه، ويرغبون في التبرك به، وفي قبوله لهداياهم فيتشرفون[4] بذلك، فقرأت[5] على هذا القسيس علم أصول دين النصرانية وأحكامه، ولم أزل أتقرب إليه بخدمتي[6]، والقيام بكثير من وظائفه حتى[7] صيرني أخص خواصه، وانتهيت في خدمتي له وتقربي إليه إلى أن دفع[8] لي مفاتيح مسكنه، وخزائن مأكله[9]، وصار كل شئ بيدي، ولم يستثن من ذلك سوى مفتاح بيت صغير داخل مسكنه، كان يخلو فيه بنفسه، الظاهر[10] أنه بيت خزانة أمواله التي تهدى إليه. والله أعلم.

فلازمته على ما ذكرنا من القراءة عليه والخدمة له عشر سنين، ثم أصابه

---

(١) أ : "نقلا وسرنيل" وفي ق : "نقلاد سرنيل".
(٢) ب ، ق ، ط : "بينهم".
(٣) ط ، ق : "مخصوصا".
(٤) ب : "ويتشرفون".
(٥) أ : "فحضرت".
(٦) أ : "وأخدمه إلى أن صيرني".
(٧) أ : "إلى أن صرت من خواص خواصه".
(٨) أ : "سلمني مفاتيح مسكنه".
(٩) أ : "ماله".
(١٠) أ : "والظاهر".

مرض يوماً من الدهر فتخلف عن[1] مجلس قراءته، وانتظره أهل المجلس وهم يتذاكرون مسائل من العلم، إلى أن أفضى بهم الكلام إلى قول الله (تعالى) على لسان نبيه عيسى (عليه السلام) أنه يأتي من بعدي[2] نبي اسمه البارقليط[3]، فبحثوا في تعيين هذا النبي، من هو من الأنبياء؟؟ وقال كل واحد منهم بحسب علمه وفهمه، فعظم بينهم في ذلك مقالهم، وكثر جدالهم، ثم انصرفوا عن غير تحصيل فائدة عن[4] تلك المسألة.

فأتيت مسكن الشيخ صاحب الدرس المذكور، فقال لي ما الذي كان عندكم اليوم من البحث في غيبتي عنكم؟ فأخبرته باختلاف القوم في اسم البارقليط، وأنَّ فلاناً قد أجاب بكذا، وأجاب فلان بكذا، وسردت له أجوبتهم، فقال لي: وبماذا[5] أجبت أنت؟ قلت بجواب القاضي فلان في تفسيره للإنجيل، فقال لي: ما قصرت وقربت، وفلان أخطأ، وكاد فلان يقارب، ولكن الحق خلاف هذا

---

(١) ط : "عن القراءة" وفي ب : "عن حضور مجلس القراءة".

(٢) ط ، ق : "بعده".

(٣) البارقليط: هذه الكلمة باللغة اليونانية، وتفسيره بالعربية "أحمد" كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (سورة الصف ٦) وقد ذكر الأستاذ عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء ص٤٧٣ أنه سأل أحد المستشرقين الإيطاليين وهو الدكتور "كارلو نلينو" عن معنى كلمة: "بيريكلتوس" فقال المستشرق: إن القسس يقولون: إن هذه الكلمة معناها "المعزى" فقال له الأستاذ عبد الوهاب النجار: إني أسأل الدكتور: "كارلو نلينو" الحاصل على الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية القديمة ولست أسأل قسيسا فقال له إن معناها (الذي له حمد كثير) فسأله الشيخ مرة ثانية، هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حمد؟ فقال: نعم.
وهكذا يعترف النصارى أن الإنجيل يوافق القرآن الكريم في البشارة بسيدنا محمد صلوات الله عليه وسلامه.

(٤) ب ، ق : "في".

(٥) أ : "وبم".

كله[١]؛لأن تفسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلا العلماء الراسخون في العلم، وأنتم لم يحصل لكم من العلم إلا القليل، فبادرت إلى قدميه أقبلها، وقلت له: يا سيدي، قد علمت أني ارتحلت إليك من بلد بعيدة[٢]، ولي في خدمتك عشر سنين، حصلت عنك فيها من العلوم جملة لا أحصيها، فلعل من جميل إحسانكم، أن تكمل عليّ بمعرفة هذا الاسم الشريف، فبكى الشيخ، وقال لي: يا ولدي والله إنك لتعز علي كثيراً من أجل خدمتك لي، وانقطاعك إليّ، وأن في معرفة هذا الاسم الشريف فائدة عظيمة، لكن أخاف عليك أن يظهر ذلك عليك فتقتلك عامة النصارى في الحين، فقلت له يا سيدي، والله العظيم، وحق الإنجيل ومن جاء به لا أتكلم بشئ مما تسره إلي إلا عن أمرك[٣].

فقال لي يا ولدي إني سألتك في أول قدومك إلي عن بلدك، وهل[٤] هو قريب من المسلمين، وهل يغزونكم أو تغزونهم؟[٥] لأستخبر[٦] به ما عندك من المنافرة للإسلام، فاعلم يا ولدي أن "البارقليط" هو اسم من أسماء نبيهم محمد ﷺ وعليه أنزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال[٧] (عليه السلام) وأخبر أنه

---

(١) أ : ذلك.
(٢) ب ، ق : بعيد.
(٣) أ : "لي إلا بإذنك".
(٤) أ : "وهل هي قريبة".
(٥) أ : "وتغزونهم".
(٦) ب ، ط : "لأختبر".
(٧) دانيال: اسم عبري معناه "الله قضى"نبي من أنبياء بني إسرائيل، من سبط يهوذا ومن عائلة داود الملكية، أخذ إلى بابل بأمر نبوخذ نصر (سنة ٦٠٥ق.م) فتعلم هناك لغة الكلدانيين، ورشح للخدمة في القصر الملكي، وقد فسر حلما لنبوخذ نصر، كان قد أزعجه فنصبه حاكما على بابل ورئيسا على جميع حكامها، ولدانيال سفر في العهد القديم ينسب إليه، ويأتي في الترتيب بعد سفر حزقيال. (راجع: قاموس الكتاب المقدس ٣٥٧، ومفاتيح كنوز الأسفار ١/ ٢٦٠).

سينزل هذا الكتاب عليه، وأن دينه دين الحق، وملته هي الملة البيضاء المذكورة في الإنجيل.

قلت[1] له يا سيد: وما تقول في دين النصارى؟ فقال لي يا ولدي: لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول لكانوا على دين الله؛ لأن عيسى وجميع الأنبياء دينهم دين الله (تعالى).

فقلت له: وكيف الخلاص من هذا الأمر؟ فقال يا ولدي بالدخول في دين الإسلام. فقلت له: وهل[2] ينجو الداخل فيه؟ فقال[3]: نعم، ينجو في الدنيا والآخرة. فقلت له يا سيدي: إن العاقل لا يختار لنفسه إلا أفضل ما يعلم، فإذا علمت فضل دين الإسلام فما يمنعك عنه؟[4] فقال لي يا ولدي: إن الله تعالى لم يطلعني على حقيقة ما أخبرتك به من فضل دين الإسلام، وشرف نبي الإسلام، إلا بعد كبر سني، ووهن جسمي[5]، ولا عذر لنا فيه، بل حجة الله علينا قائمة، ولو هداني الله لذلك وأنا في سنك لتركت كل شئ، ودخلت في دين الحق.

وحب الدنيا رأس كل خطيئة[6]، فأنت ترى ما أنا فيه عند النصارى من

---

(١) ط : "فقلت".

(٢) ط : "هل".

(٣) ط : "قال".

(٤) أن ، ق : "منه".

(٥) أ : "عظمي".

(٦) "حب الدنيا رأس كل خطيئة" رواه البيهقي في الشعب بإسناد حسن إلى الحسن البصري رفعه مرسلا، ورواه البيهقي أيضا في الزهد وأبو نعيم من قول عيسى بن مريم،ولأحمد في الزهد عن سفيان، قال كان عيسى بن مريم يقول: حب الدنيا أصل كل خطيئة، والمال فيه داء كثير، قالوا وما داؤه؟ قال لا يسلم صاحبه من الفخر والخيلاء، قالوا فإن سلم؟ قال شغله إصلاحه عن ذكر الله تعالى. (انظر: كشف الخفاء ٤١٢/١-٤١٣).

رفعة الجاه، والعز، والشرف وكثرة عرض الدنيا، ولو أني ظهر علي شئ من الميل إلى دين الإسلام، لقتلني العامة في أسرع وقت.

وهب أني نجوت منهم وخلصت[1] إلى المسلمين، وأقول[2] لهم: إني جئتكم مسلماً، فيقولون لي قد نفعت نفسك بالدخول في دين الحق، فلا تمن علينا بدخولك في دين خلصت به نفسك من عذاب الله، فأبقى بينهم شيخاً كبيراً[3] فقيراً ابن تسعين سنة، لا أفقه لسانهم، ولا يعرفون حقي، فأموت بينهم بالجوع، وأنا الحمد[4] لله على دين عيسى، وعلى[5] ما جاء به يعلم الله ذلك مني، فقلت له يا سيدي: أفتدلني أن أمشي إلى بلاد المسلمين، وأدخل في دينهم؟ فقال لي إن كنت عاقلاً، طالباً للنجاة فبادر إلى ذلك، تحصل لك الدنيا والآخرة، ولكن يا ولدي هذا أمر لم يحضره أحد معنا الآن، فاكتمه بغاية جهدك، وإن ظهر عليك شئ منه تقتلك العامة لحينك، ولا أقدر على نفعك، ولا ينفعك أن تنقل ذلك عني، فإني أجحده، وقولي مصدق عليك، وقولك غير مصدق علي، وأنا برئ من دمك إن فهت بشئ من هذا، فقلت له يا سيدي أعوذ بالله من سريان الوهم لهذا. وعاهدته بما أرضاه، ثم أخذت في[6] أسباب الرحلة، وودعته فدعا[7] لي بخير، وزودني بخمسين ديناراً ذهباً، وركبت البحر منصرفاً إلى بلادي مدينة

---

(١) ب ، ق : "وحصلت".
(٢) ط ، ق : "فاقول".
(٣) ب ، ط : "كبيرا".
(٤) أ : "والحمد"
(٥) أ : "وما جاء به".
(٦) ط : "من".
(٧) أ : "ودعا".

ميورقة، فأقمت بها ستة أشهر، ثم سافرت منها إلى جزيرة صقلية[١]، فأقمت[٢] بها خمسة أشهر، وأنا أنتظر مركباً يتوجه لأرض المسلمين، فحضر مركب يسافر إلى مدينة تونس فسافرت فيه من صقلية، وأقلعنا عنها قرب مغيب الشفق، فوردنا مرسى تونس قرب الزوال[٣]، فلما نزلت بديوان تونس، وسمع بي الذين بها من أحبار[٤] النصارى أتوا بمركب[٥] وحملوني معهم إلى ديارهم وبصحبتهم بعض التجار الساكنين أيضا بتونس، فأقمت في ضيافتهم على[٦] أرغد عيش أربعة أشهر، وبعد ذلك سألت[٧] هل بدار السلطنة أحد يحفظ لسان[٨] النصارى؟ وكان السلطان إذ ذاك مولانا أبا العباس[٩] أحمد (رحمه الله) فذكروا لي أن بدار السلطان المذكور رجلاً فاضلاً من كبراء[١٠] خدامه اسمه يوسف الطبيب، وكان طبيبه ومن خواصه، ففرحت بذلك فرحاً شديداً، وسألت عن مسكن هذا

---

(١) صقلية: أكبر جزء البحر الأبيض المتوسط الغربي، ومن ثم كانت أهميتها عبر التاريخ، تبلغ مساحتها ٩٩٢٣م٢ وعدد سكانها (إحصاء ١٩٦١) ٤,٧م، يفصلها عن شبه الجزيرة الإيطالية مضيق مسينا، وتبعد عن أقرب نقطة من الساحل الأفريقي (تونس) بنحو ٩٠٠ ميل، وتتميز جغرافيتها بسلاسل الجبال البركانية، وأنهارها القصيرة السريعة الجريان، التي يجف أكثرها صيفا، وسواحلها كثيرة التعاريج. (انظر: أحمد عطية الله القاموس الإسلامي ٣٠٠/٤، ومعجم البلدان ٤١٦/٣ دار صادر).

(٢) ط : "وأقمت".

(٣) ط : "قرب الزوال بحكم الله تعالى فلما...".

(٤) ط ، ق : "أجناد"

(٥) ط : "بمركوب".

(٦) أ : "في".

(٧) أ ، ب ، ط : "سألتهم".

(٨) يقصد بلسان النصارى اللغة الأسبانية.

(٩) راجع ترجمته ص٤٩.

(١٠) ق : "المسلمين".

الرجل الطبيب، فدللت عليه، واجتمعت به، وذكرت له شرح حالي وسبب قدومي للدخول[1] في دين الإسلام، فسر الرجل بذلك سروراً عظيماً بأن يكون[2] هذا الخبر على يديه.

ثم ركبت فرسه، واحتملني معه لدار السلطان، ودخل عليه فأخبره بحديثي، واستأذنه علي فأذن له، فمثلت[3] بين يديه، فأول ما سألني السلطان عن عمري، فقلت له خمسة وثلاثون عاماً، ثم سألني كذلك عما قرأت من العلوم، فأخبرته، فقال لي قدمت خير قدوم، فأسلم على بركة الله تعالى، فقلت للترجمان وهو الطبيب المذكور، قل لمولانا السلطان: إنه لا يخرج أحد من دين إلا ويكثر أهله القول فيه، والطعن عليه، فأرغب من إحسانكم أن تبعثوا إلى الذين بحضرتكم من تجار النصارى وأحبارهم[4] وتسألوهم[5] عني، وتسمع ما يقولون في غيابي[6]، وحينئذ أسلم (إن شاء الله).

فقال لي بواسطة الترجمان: أنت طلبت كما طلب عبد الله بن سلام[7] من النبي ﷺ حين أسلم.

---

(١) ب ، ق : "والدخول".

(٢) ب ، ق : "يكون تمام هذا".

(٣) ط : "فتمثلت".

(٤) ط ، ق : "وأجنادهم" والأحبار: جمع حبر (بكسر الحاء وفتحها) العالم (المصباح ١١٧).

(٥) ط : "وتسالونهم".

(٦) ط ، ق : "جنابي".

(٧) عبد الله بن سلام: يكنى أبا يوسف، وهو من ولد يوسف بن يعقوب (صلى الله عليهما) كان حليفا للأنصار وكان اسمه في الجاهلية "الحصن" فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله، توفي بالمدينة في خلافة معاوية سنة ثلاث وأربعين وهو أحد الأحبار، أسلم إذ قدم النبي ﷺ المدينة. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٩٢١/٣).

ثم أرسل إلى أحبار[1] النصارى وبعض تجارهم، وأدخلني في بيت قريب من مجلسه، فلما دخل النصارى عليه، قال لهم: ما تقولون في هذا القسيس الجديد الذي قدم في هذا المركب؟ قالوا: يا مولانا، هذا[2] عالم كبير في ديننا، وقال مشايخنا[3]: ما رأينا أعلى منه درجة في العلم والدين في ديننا، فقال لهم: وما تقولون فيه إذا أسلم؟؟ فقالوا: نعوذ بالله من ذلك، هو ما يفعل ذلك[4] أبدا..

فلما سمع ما عند النصارى بعث إلي فحضرت بين يديه وتشهدت بشهادة الحق بحضر النصارى فكبوا[5] على وجوههم، وقالوا ما حمله على هذا[6] إلا حب التزويج، فإن القسيس عندنا لا يتزوج، فخرجوا مكروبين محزونين، فرتب لي السلطان – رحمه الله – كل يوم ربع دينار، وأسكنني في دار المختص، وزوجني بنت الحاج محمد الصفار.

فلما عزت على البناء[7] بها أعطاني مائة دينار ذهباً وكسوة جديدة كاملة، فابتنيت بها، وولد لي منها ولد سميته محمدًا على وجه التبرك باسم نبينا محمد ﷺ.

---

(١) ط، ق : "أجناد" وفي أ : "خيار".
(٢) ط : "هو".
(٣) ط : "شيوخنا ما رأوا".
(٤) أ، ط، ق : "هذا".
(٥) ط : "فصلبوا".
(٦) ق : "ذلك".
(٧) بنى بزوجته وعليها: دخل بها.

الفصل الثاني

فيما اتفق لي في أيام مولانا أبي العباس أحمد وولده أبي فارس عبد العزيز

وبعد خمسة أشهر من إسلامي، قدمني السلطان لقيادة البحر بالديوان، وكان قصده بذلك أن أحفظ اللسان[1] العربي فيه[2] لكثرة ما يتكرر علي[3] من ترجمة التراجمة بين النصارى والمسلمين.

فحفظت جميع اللسان العربي، في مدة عام، وحضرت لعمارة الجنويين[4] والفرنسيين[5] على مدينة مهدية، وكنت أترجم للسلطان ما يرد من[6] كتبهم، ثم كبتهم[7] الله تعالى، وتفرقوا خائبين.

---

(١) يقصد باللسان: اللغة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (إبراهيم آية ٤) أي بلغتهم.

(٢) أ : "منه".

(٣) ب : "على فيه من".

(٤) ط : "الجنويز" ق : "الجويين" والجنويين: نسبة إلى مدينة في جنوب إيطاليا تسمى جنوة، وهي ميناء يقع على الخليج المسمى باسمها، وتعتبر الميناء الملاحي الأول بالنسبة لشمال إيطاليا، نظرا لقربها من مراكز التجارة والصناعة الكبرى، لاسيما ميلان وتورين، عدد سكانها ٨٠٧ ألف نسمة (يناير ١٩٧٥) فمن ثم كانت المدينة الخامسة من حيث الكثافة (القاموس السياسي ٥٠٤).

(٥) ط : "والفرانسيس" وفي ق : "والأفريقيين".

(٦) ب : "في".

(٧) كبتهم الله: أي ردهم بغيظهم.

وارتحلت مع السلطان إلى حصار قابس[1]، وكنت على خزائنه على حصار قفصة[2]، وفيه ابتدأ مرضه الذي مات فيه ثالث عشر شعبان عام ستة وتسعين وسبعمائة، ثم تولى الخلافة بعده ولده مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين: أبو فارس عبد العزيز، فجدد لي جميع أوامر والده بمرتباتي ومنافعي كلها، ثم زادني ولاية دار المختص.

واتفق لي في أيامه بالديوان، وأنا قائد البحر والترجمة، أن مركباً قدم موسوقاً بسلاع[3] المسلمين، فلما أرسى بالمرسى، دخل عليه مركبان من صقلية، فأخذاه لحينه بعد أن هرب المسلمون منه برقابهم، واستولى النصارى على أموالهم.

فأمر مولانا أبو فارس صاحب ولاية الديوان وشهوده أن يخرجوا[4] إلى حلق الوادي، ويتحدثوا مع النصارى في فداء أموال المسلمين فوصلوا[5] وطلبوا الأمان للترجمان الذي كان معهم فأمنوه، فصعد إليهم لمراكبهم، وتحدث معهم في الفداء فتغالوا[6] في ذلك ولم يحصل منه شئ، وكان قد ورد مع[7] هذا المركب قسيس

---

(١) قابس: مدينة بين طرابلس وسفاقس ثم المهدية على ساحل بحر المغرب، من أعمال أفريقية وبها مرفأ السفن من كل مكان، بينها وبين البحر ثلاثة أميال (مراصد الاطلاع ١٠٥٤).

(٢) قفصة: مدينة اسمها القديم (كبسه) تقع بجنوب وسط تونس، في واحة خصيبة، وكان لها شأن في عصر الرومان، تصدر الفوسفات والتمر والزيتون. (الموسوعة العربية الميسرة ١٣٩٠).

(٣) سلاع: جمع سلعة،وهي كل ما يتجر به من البضاعة، كما تطلق السلعة على المتاع (المعجم الوسيط ٤٤٣).

(٤) ب : "يخرجوا لخلف الوادي".

(٥) ط : "الوزن".

(٦) فغالوا.

(٧) أن ، ق : "في".

كبير القدر في صقلية، وكانت بيني وبينه صداقة كبيرة كأننا[1] إخوة إذ كنا نطلب العلم جميعاً وسمع بإسلامي فصعب عليه ذلك، فقدم في هذا المركب ليستدعيني للرجوع إلى دين النصارى، ويأخذني بالصداقة التي كانت بيننا[2]، فلما اجتمع بالترجمان الذي صعد إليهم للمركب، قال له: ما اسمك؟ قال علي، فقال يا علي: خذ هذا الكتاب، وبلغه للقائد عبد الله قائد البحر عندكم بالديوان، وهذا دينار، وإذا[3] رددت لي[4] جوابه[5] أعطيتك ديناراً آخر، فقبض منه الكتاب والدينار، وجاء لحلق الوادي، فأخبر صاحب الديوان بكل ما قالوه[6] له، ثم أخبره بمقاس القسيس وبالكتاب الذي أعطاه إياه، وبالدينار الذي استأجره به، فأخذ صاحب الديوان الكتاب وترجمه له بعض تجار الجنويين فبعث بالأصل[7] والنسخة لمولانا أبي فارس فقرأه، ثم بعث إلي فحضرت[8] بين يديه فقال لي يا عبد الله هذا الكتاب وصل من البحر فاقرأه وأخبرنا بما فيه، فقرأته وضحكت فقال لي: ما أضحكك؟ فقلت له[9]: نصركم الله، هذا كتاب مبعوث إلي من قسيس كان من أصدقائي في الأول[10]، وأنا أترجمه لكم الآن، فجلست في ناحية

---

(١) ط ، ق : "كأنها".
(٢) ب : "بيني وبينه".
(٣) ط ، ق : "فإذا".
(٤) ب : "إلي".
(٥) ق : "تعطيك".
(٦) ب : "ما قالوا".
(٧) ب : "الأصل".
(٨) ب ، ق : "فوصلت".
(٩) "له" سقط من أ ، ق.
(١٠) "في الأول" سقط من أ .

وترجمته بالعربية، ثم ناولته الترجمة فقرأها ثم قال لأخيه المولى إسماعيل: والله ما ترك منه حرفا[1]..!!

فقلت له يا مولاي: وبأي شئ عرفت ذلك؟؟ قال بنسخة أخرى ترجمها لنا الجنويون[2] قبلك، ثم قال لي[3]: يا عبد الله، وماذا[4] عندك أنت في جواب هذا القسيس؟ فقلت يا مولاي: الذي عند ما علمته مني من كوني أسلمت باختياري رغبة في دين الحق، ولست أجيبه إلى شئ[5] مما أشار[6] إلي قطعاً.

فقال لي: قد علمنا صحة إسلامك، ولكن "الحرب خدعة"[7] فاكتب إليه[8] في جوابك أن يأمر صاحب المركب أن يفدي[9] سلع المسلمين، ويرخص عليهم، وقل له: إذا اتفقتم مع المسلمين على سعر[10] معلوم، فإني أخرج مع الوزان بقصد وزن السلع ثم أهرب إليكم بالليل.

---

(١) ط : "شيئا".

(٢) نسبة إلى مدينة في إيطاليا تسمى جنوة.

(٣) "لي" سقط ب.

(٤) ق : "وما".

(٥) ب : "بشئ".

(٦) ط : "أشاره".

(٧) الحرب خدعة: حديث متفق عليه، قال بعض اللغويين: معنى خدع، أظهر أمرا أبطن خلافه ومنه كان النبي ﷺ إذا غزا غزوة ورى بغيرها، وخدعه مثلث الخاء، والفتح أشهر، والدال ساكنة فيهن، ويجوز مع الضم فتح الدال، ونقل ابن الغرس عن الزركشي والسيوطي أنها بتثليث الخاء مع فتح الدال، قال وأفصحها فتح الخاء مع سكون الدال، وإنها لغة النبي ﷺ. (راجع كشف الخفاء ٤٢٥/١).

(٨) أ : "له".

(٩) ط ، ق : "يفادي" والمراد بقوله: يفدي. أي يقبل منهم الفدية (المعجم الوسيط ٦٧٧).

(١٠) ق : "شئ".

ففعلت ما أمرني به، وأجبت القسيس بهذا الجواب ففرح وأرخص على المسلمين في فداء متاجرهم، وخرج الوزان مرارا، ولم أخرج معه، فأيس مني ذلك القسيس فأقلع مركبه وانصرف.

وكان نص كتابه[١]: (أما بعد السلام من أخيك فريسيس[٢] القسيس، نعرفك أني وصلت إلى هذا البلد برسمك[٣]، لأحملك معي إلى صقلية[٤]، وأنا اليوم عند صاحب صقلية بمنزلة أن أعزل وأولّي، وأعطي وأمنع، وأمر جميع مملكته بيدي، فاسمع مني واقبل على بركة الله تعالى، ولا تخف ضياع مال ولا جاه ولا غير[٥] ذلك، فإن عندي من المال والجاه ما يغمر[٦] الجميع، وأعمل لك كل ما تريد، ولا تتحيل[٧] بشئ من أمور الدنيا، فإنها فانية والعمر قصير، والقبر بالمرصاد، خف الله تعالى، واخرج من ظلمة الإسلام إلى نور النصرانية، واعلم أن الله ثالث ثلاثة في ملكه، ولاسبيل إلى أن تفرد ما جمعه الله لنفسه، وأنا أعلم أنك تعلم من هذا كله ما لا أعلم، ولكن ذكرتك؛ لأن الذكرى تنفع المؤمنين، وانتبه من نوم الغفلة، واجعل جوابي كتابي هذا وورودك عليّ، ومثلك لا يحتاج إلى معلم، والسلام).

---

(١) ب : "كتابه إلي".
(٢) أ : "قرايصي" ب ، ق : "أفرنصيص".
(٣) برسمك : لعله يقصد من أجلك.
(٤) "إلى صقلية" من ب.
(٥) ب : "وغير ذلك".
(٦) أ : يعم".
(٧) "ولا تتحيل بشئ.. والسلام" زيادة من أ ، ب.

ذكر[1] سيرة مولانا أمير المؤمنين

أبي فارس عبد العزيز رحمه الله

قد أقام سنة[2] العدل في جميع رعاياه[3]، وساسهم بالكتاب والسنة، ومن مناقبه إكرام العلماء وأهل الصلاح وتعظيم قدومهم عليه، والإكرام لأهل بيت الرسول ﷺ، وبذل جميع العطاء لهم، حتى إنهم[4] قدموا إليه[5] من مشارق الأرض ومغاربها، وكل من أقام ببلاده منهم[6] مشى له المرتبات والعوائد والكسوات[7]، ومن ارتحل لأرضه[8] أجزل وصلته وأكرم وفادته.

وقد جعل لهم ستين ديناراً في كل عام تدفع لزوارهم[9] ليلة المولد المعظم الشريف، لينفقوها في الوليمة لفرح ذلك المولد الكريم، وجعلها من أعشار الديوان[10] تحرياً للحلال، سوى ما يصحبها من الطيب، وماء الورد والبخور.

---

(١) ب : "ذكر بعض سيرة".

(٢) السنة: الطريقة (المصباح المنير ٢٩٢).

(٣) ط : "الرعايا".

(٤) ط : "قد".

(٥) ب ، ق : "عليه".

(٦) "منهم" من ب .

(٧) ب : "والكسوة".

(٨) ب ، ق : "إلى أرضه".

(٩) ط : "لمزوارهم" ق : "لزيارتهم".

(١٠) الديوان: كلمة فارسية معربة بمعنى الدفتر أو السجل، ومن ثم أطلق لفظ الديوان مجازا على المكان الذي يحفظ فيه، وقيل الديوان كلمة عربية أصلها "دوان" بتشديد

وأما إنصافه للمظلوم من ظالمه كائناً من كان البتةَّ فقد اشتهر عنه، حتى صار قواده وخواصه يسلكون طريقته، ويجتنبون الحيف والأذى، ولا يتركون أحداً يشكوهم إليه.

وقد جعل قوته وقوت عياله، وملابسهم، وسائر ضرورياتهم – من خوف الله تعالى[1] – من[2] أعشار النصارى، وجزية اليهود تحرياً للحلال في ذلك.

ولا يزال يتعاهد أهل السجون[3] في غالب أحيانه فيسرح من يستحق السراح[4]، وينجز[5] أحكام أهل[6] الجنايات منهم.

وأما كثرة صدقاته فأمر منتشر، ورتب لتوزيعها زماماً[7] تحتوي على من يستحقها من البنين[8]، وذوي الأحساب والمروءات، وأسندها إلى الفقيه العدل

الواو فأبدلت إحدى الواوين ياء، من قولهم دون تدوينا (أي أثبت) وديوانا، والجمع دواوين، والديوان اصطلاحاً البلاط السلطاني وفروعه أو الوحدات الإدارية الرئيسية في الحكومة، ويعتبر عمر الخليفة الثاني أول من دون الدواوين في الإسلام بمعنى أنه أقام لكل شأن من شئون الدولة الرئيسية جهازاً يضطلع به، فكان أقدم هذه الدواوين ديوان الخراج "وزارة الخزانة" وديوان الجند "وزارة الحربية" وقد أخذ نظام الديوان عن الفرس، وفي عصر بني أمية تعددت الدواوين، وفي عهد عبد الملك بن مروان عربت الدواوين فاستخدمت اللغة العربية بدلاً من اليونانية والفارسية والقبطية (القاموس الإسلامي ٢/٤٢٨).

(١) "من خوف الله تعالى" سقط أ.

(٢) أ ، ب : "على".

(٣) ط : "السجن".

(٤) السراح: الترك، وقد يستعمل في الطلاق مجازاً، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾ قال المفسرون المراد به الطلاق.

(٥) يقال: أنجزته، إذا عجلته، واستنجز حاجته طلب قضاءها (المصباح المنير ٥٩٤).

(٦) "أهل" سقط أ.

(٧) ب : "زمانا"، أ : "زمامل" والمثبت من ط ، ق. ولعله يريد سجلات دونت فيها أسماء المستحقين.

(٨) ط : "البيتات"، ق : "البينات".

المدرس أبي عبد الله محمد بن سلام الطبري[1]، فيوصل إلى كل ذي حق منا[2] حقه من المال العين[3] والطعام، والزيت، وماشية البقر والغنم من الزكاة، هكذا يفعل في جميع أعماله.

ومن لطيف مآثره ما يوجه[4] في كل عام صحبة ركبان الحجاج لبيت الله الحرام، وجيران قبر النبي ﷺ فيفرق بمكة والمدينة من الأموال ما يوسع به على القاطنين[5]، والمجاورين هناك، أثابه الله تعالى.

ويوجه مع ذلك من المال والكسوة لمشايخ[6] عرب برقة[7] عوائد يمنعهم بها من اعتراض الحجاج[8]، ويرغبهم في تسهيل ذلك الطريق.

ومن مناقبه ما مشى لأهل جزيرة الأندلس من الأوقاف[9] الدائمة، فعين لهم ألفي قفيز[10] من القمح في كل عام (من عشر وطن[11] شتاتة[12]) سوى ما يصحب ذلك من إدام، ومال عين، وخيل عتاق، وعدة من السلاح الجيد، وما لا يوجد عندهم من البارود النفيس.

---

(١) لم أعثر له على ترجمة.
(٢) ب : "فيها".
(٣) أ : "المعين".
(٤) ب ، ط ، ق : "ما يوجبه".
(٥) قطن بالمكان: أي أقام به (المصباح المنير ٥٩).
(٦) أ ، ب ، ق : "لمشايخ العرب المعروفة ببرقة من العصاة عوائد يمنعهم".
(٧) برقة : لقب حمله أفراد أسرة قرطاجية (الموسوعة العربية الميسرية ٣٤٩).
(٨) ب : "الحجيج".
(٩) أ ، ط : "الأرفاق".
(١٠) القفيز: مكيال كان يكال به قديما، ويختلف مقداره في البلاد، ويعادل بالتقدير المصري الحديث نحو ستة عشر كيلو جراما (المعجم الوسيط ٧٥١).
(١١) ب : "عسر وطن".
(١٢) ق : "وتسنانه".

ومن ذلك اعتناؤه بفداء أسارى المسلمين من أيدي النصارى وقد أدرك من ذلك غاية لم يسبق إليها في ذلك القطر، لأنه أوقف لذلك أوقافاً كثيرة معتبرة، وقدم على النظر فيها أمين الأمناء أبا عبد الله محمد بن عزوز[١]، وأمره بخدمتها وحفظ مجابيها، وكل ما يتحصل من المجابي[٢] يشترى به ربعاً[٣] براتيًا ودخلانيًا، بحاضرة تونس أعده أمير المؤمنين لفداء الأسارى بعد وفاته.

وقد التزم فداء جميع من يرد لمرسى تونس من الأسارى من بيت المال مدة حياته؛ وحضرته مراراً يوصي تجار النصارى من جميع أجناسهم أن يأتوه بكل من يقدرون عليه من أسارى المسلمين، وعين لهم في كل شاب منهم ستين ديناراً إلى سبعين، وفي كل شيخ وكهل[٤] من الأربعين إلى الخمسين.

وأنا الذي كنت أترجم بينه وبين النصارى في ذلك، فما كانت إلا مدة يسيرة حتى جاء تجارهم بعدد كثير من الأسارى، ففدى جميعهم من بيت المال، وما زال يفعل ذلك إلى تاريخ تأليف هذا الكتاب، أجزل الله له الثواب.

ومن عظيم مآثره بناؤه للزاوية التي بخارج باب البحر من تونس، وقد كانت فندقاً تستباح فيه كبائر معاصي الله جهاراً من غير مغير ولا منكر؛ لأن بعض النصارى التزمه باثنى عشر ألف دينار ذهباً، في كل عام؛ ليبيع فيه الخمر وغيره من المسكرات، ويجتمع عنده من عظائم المنكرات ما يحزن قلوب المخلصين، فترك مولانا أبو فارس تلك المجابي السحتية[٥] الفاسدة لوجه الله تعالى، ولم يقنع بإبطال

---

(١) ق : "غروز".
(٢) ق : "المجبا".
(٣) أ : "ربعا".
(٤) الكهل: "من جاوز الثلاثين إلى نحو الخمسين". (المعجم الوسيط ٨٠٣).
(٥) السحت: هو كل مال حرام لا يحل كسبه ولا أكله (المصباح المنير ٢٦٧).

تلك المعاصي وتغييرها حتى هدم الفندق المذكور، وبنى عوضه زاوية عظيمة البناء والنفع صارت متعبداً لإقامة الصلاة، والذكر، والعبادات، وإطعام الطعام على الدوام؛ لأنه أوقف عليها أوقافاً جمة مفيدة[١] من محترث وفدادين زيتون، ومعصرة بإزائها، وغير ذلك أثابه الله تعالى.

وكذلك بنى الزاوية التي قرب بستان باردواء والزاوية التي قرب الداموس، وجبل الخاوي[٢] قبلي تونس، وأوقف[٣] عليها ما يكفيها.

وكذلك السقاية التي خارج باب الجديد[٤]، والماجل[٥] الكبير، الذي تحت مصلى العيد.

وبناؤه للمحارس التي بإزاء دار أبي الجعد، والحمامات، والرفارف والشراف، والقمريات.

ومن عظيم مآثره خزانة الكتب التي جعلها بجوف جامع الزيتونة من تونس، وجمع فيها دواوين مفيدة في علوم شتى، وأوقفها مؤبداً لطلاب العلم، وأوقف عليها من فدادين الزيتون وغيرها ما هو فوق الكفاية للمناول[٦] لها، والشهود، وحافظ[٧] الباب.

---

(١) س : "من فدادين زيتون وغير ذلك".
(٢) س : "الجلود".
(٣) ق : "ووقف".
(٤) ق : "الحديد".
(٥) س : "والمجاز".
(٦) ق : "للمنازل".
(٧) ق : "والحافظ بالباب".

ومن عظيم مآثره، تأسيس "المارستان"[1] بتونس، ولم يسبقه أحد في أفريقية من المتقدمين والمتأخرين لمثل ذلك، وهو لمن يمرض من غرباء أهل الإسلام، وأوقف عليه ما يكفيه، وذلك في عام تأليف هذا الكتاب وهو عام ثلاثة وعشرين وثمانمائة.

ومن عظيم مآثره، أموال عظيمة تركها لوجه الله تعالى من المجابي الخارجة عن قانون الشريعة المحمدية، وهي مجابي كانت موظفة بجميع أسواق تونس، لا يباع فيها شئ دق أو جل، إلا ويؤدى بائعه لجانب السلطان شيئاً معلوماً من درهم إلى دينار أو أكثر من دينار فيما له بال، وكانت ماضية[2] مستمرة منذ أحقاب طويلة حتى ألهم الله هذا السلطان المبارك لقطعها وتركها، فانقطع ضررها عن الناس.

وترك مجبى سوق الرهادنة[3]، وقدره ثلاثة آلاف دينار ذهباً، ومجبى رحبة الطعام وقدره خمسة آلاف دينار، ومجبى رحبة الماشية، وقدره عشرة آلاف دينار، ومجبى فندق الزيت وقدره خمسة آلاف دينار ومجبى فندق الخضرة، وقدره ثلاثة آلاف دينار، ومجبى سوق العطارين وقدره مائة وخمسون ديناراً، ومجبى فندق الفحم[4]، وقدره ألف دينار، ومجبى العمود، وقدره ألف دينار،

---

(١) المارستان: قال الجوهري في الصحاح: المارستان – بفتح الراء – دار المرضى، وهو معرب.. انتهى وفي سنة ثمان وثمانين أمر الوليد بن عبد الملك بعمل المارستان لعلاج المرضى، وهو أول من فعل ذلك، وجعل فيها الأطباء، وأجرى فيها الإنفاق، وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا، وأجرى عليهم الإنفاق وعلى العميان. (تخريج الدلالات السمعية ٦٧٣).

(٢) في أكثر النسخ: "موصلة".

(٣) في الحلل السندسية: "سوق الرهادنة".

(٤) في الحلل السندسية: "فندق البياض" وهو تعبير متداول عند أهل تونس للدلالة على الفحم.

وليس هذا من فوائد الأسواق، وإنما هو مال ضربه بعض الملوك المتقدمين على من بوادي بحيرة[1] وغيرهم، وهم أهل خيام وعمود وكان ذلك عليهم أحقاباً طويلة حتى أبطله ذلك الملك أبو فارس، وقدره ألف دينار. وبعض مجبى دار قائد الشغل، وقدره ثلاثة آلاف دينار، ومجبى سوق القشاشين، وقدره مائة دينار[2]، ومجبى سوق الصفارين وقدره مائة دينار، ومجبى سوق العرافين وقدره خمسون ديناراً. وأباح عمل الصابون، بعد أن كان ممنوعا منه، ومن ظهر ذلك عليه يعاقب في ماله وبدنه، ولا يعمله إلا السلطان بموضع معلوم لا يباع إلا فيه.

ومن أعظم درجات حسناته في هذا الباب ترك خراج المناكير – وكان كثيرا – فمنه الشرطة لحاكم المدينة، وكان بعض المكاسين[3] يلتزمها بثلاثة دنانير ونصف دينار في كل يوم، فأبطل مولانا أبو فارس هذا، وأوقف في ذلك رجالاً من الثقاة والأمناء والنجباء على وجه الأمانة.

وكان على الزفانين[4] والمغنيات مغارم قبيحة سحتية، فتركها عنهم. وكان المخنثون والحوى بتونس عليهم مغارم ووظائف خدمة دار السلطان، فترك مغارمهم وأجلاهم عن جميع بلاده، لما بلغه عنهم من قبيح المعاصي والمناكير.

---

(١) ق : "متجيزهم"، أ : "برنجيزة".

(٢) في الحلل السندسية : "مائتي دينار".

(٣) المكاسين: جمع مكاس، والمكس، انتقاص الثمن في البياعة، ومنه أخذ المكاس لأنه يستنقصه (لسان العرب ٦/٤٢٤٨).

(٤) قال في اللسان: "الزفن، الرقص، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها: قدم الحبشة، فجعلوا يزفنون ويلعبون" وفي المخطوطات التي بين أيدينا: "الزفافين" والتصويب من الحلل السندسية.

وفي أول أيامه السعيدة غزا أسطوله مدينة طرقونة بجزيرة صقلية[١] فاستولى عليها عنوة[٢]، وهدم سورها، وأتى منها بالمغانم الجليلة، والشئ الكثير.

وأما فتوحات أفريقية، ومحوه لآثار أهل الفتن بها بعد اليسير من السنين، فأمر عجيب لا يكاد يسعه مكتوب، كمدينة طرابلس[٣]، وفاس، وقابس[٤]، والحامة، وقفصة[٥]، وتوزر[٦]، ونفطة[٧]، وبسكرة[٨]، وقسنطينة[٩]، وبجاية[١٠]، حتى أذل الله تعالى لعزه فيها كل جبار.

وقد كانت أعراب أفريقية قبله بالاختيار على ملوكها، وكانوا يحاصرون المدائن، ويشاركون أهل السلطنة في مجابيها قهراً، ولهم مع الملوك أخبار معلومة،

---

(١) راجع ص٤٦.

(٢) عنوة: أي قهرا، ويقول علماء اللغة إنها من الأضداد (راجع المصباح المنير ٤٣٤).

(٣) طرابلس: عاصمة ليبيا، ميناء على البحر المتوسط، فتحها عمرو بن العاص، واستولت عليها إيطاليا سنة ١٩١١، بها بعض كليات الجامعة الليبية (الموسوعة الميسرة ١١٥٥).

(٤) في المخطوطة: "قابص" والمثبت من الحلل السندسية، قال في مرصد الاطلاع (١٠٥٤) "مدينة بين طرابلس وسفاقس ثم المهدية على ساحل بحر المغرب، من أعمال أفريقية، وبها مرفأ السفن من كل مكان، بينها وبين البحر ثلاثة أميال".

(٥) قفصة: مدينة تقع في جنوب وسط تونس، في واحة خصيبة (الموسوعة الميسرة ١٣٩٠).

(٦) توزر: مدينة في أقصى أفريقية بينها وبين قفصة عشرة فراسخ، وأرضها سبخة بها نخل كبير (مراصد الاطلاع ٢٨٠).

(٧) في الحلل السندسية: "ونفطة" وفي أ ، ب : "ونقنة".

(٨) بسكرة: مدينة بالجزائر، في واحة وفيرة بالمياه (الموسوعة الميسرة ٣٧٢).

(٩) في ق : "قسطينة". والصحيح ما أثبت.

(١٠) بجاية: ميناء بالجزائر، على شاطئ البحر المتوسط (الموسوعة الميسرة ٣٢٧).

حتى قهرهم الله تعالى جلت قدرته بهذا السلطان المؤيد، فصار يقودهم معه[1] أجناداً في أغراض أسفاره شرقاً وغرباً بعد أن أباد كثيرا من أعيانهم، ورءوس مشايخهم، وصار يبعث قواده يتبعون نجوع العرب لاستيفاء زكاة مواشيهم، وهم صاغرون وتحت السمع والطاعة مذعنون. زاده الله من فضله، وأمده بنصره.

(١) ق : "ومعه أجناد في أغراض السفر".

الفصل الثالث

في الرد على النصارى

ونريد أن نرد عليهم بنص أناجيلهم، وما قاله الأربعة الذين كتبوا الأناجيل الأربعة، ونؤكد[1] ثبوت نبوة نبينا محمد ﷺ وما أتت به الأنبياء المتقدمون[2] من ثبوت نبوته في كتبهم التي هي الآن[3] موجودة بأيدي النصارى.

وهذا الفصل يشتمل على تسعة أبواب

الباب الأول:

في ذكر الأربعة الذين كتبوا الأناجيل الأربعة وبيان كذبهم لعنهم الله.

الباب الثاني:

في افتراق النصارى على مذاهبهم[4]، وعدد فرقهم.

الباب الثالث:

في فساد قواعد دين النصارى، والرد عليهم في كل قاعدة منها بنص أناجيلهم.

---

(١) "ونؤكد عليهم في ثبوت".

(٢) ط: "المقدمون".

(٣) ط: "الآن بأيديهم".

(٤) ط: "مذهبهم".

الباب الرابع:

في عقيدة شرائعهم[1] التي يتعلمها[2] صغيرهم وكبيرهم، وهو أصل دينهم، والرد عليهم بأصل أناجيلهم[3].

الباب الخامس:

في بيان أن عيسى (عليه السلام) ليس بإله كما افترته النصارى، وأنه آدمي نبي مرسل بنص الأناجيل.

الباب السادس:

في اختلاف الأربعة الذين كتبوا الأناجيل الأربعة وبيان كذبهم.

الباب السابع:

فيما نسبوا إلى عيسى (عليه السلام) من الكذب وهم الكاذبون.

الباب الثامن:

فيما يعيبه النصارى على المسلمين أعزهم الله تعالى.

الباب التاسع:

في ثبوت نبوة نبينا محمد ﷺ بنص الزبور والتوراة والإنجيل وبشارة الأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين) وما أخبر به الأنبياء من صحة بعثته، وبقاء ملته.

---

(١) ط: "شريعتهم".
(٢) أ، ط: "يستعملها".
(٣) ب، ق: "الأناجيل".

الباب الأول

اعلموا – رحمكم الله – أن الذين كتبوا الأناجيل أربعة هم[1]: متى[2]، وماركوس[3]، ولوقا[4]، ويوحنا[5]، وهؤلاء هم الذين أفسدوا دين عيسى، وزادوا

---

(١) ط : "وهم".

(٢) متى : يدعى أيضا لاوي بن حلفي، وهو أحد الرسل الإثنى عشر، وكان من العشارين (جباة الضرائب) للدولة الرومانية في كفر ناحوم من أعمال الجليل بفلسطين وما حولها، وكانت هذه الوظيفة محتقرة جدًا عند اليهود، ولكن السيد المسيح اختاره تلميذاً من تلاميذه، ولما صعد السيد المسيح إلى السماء جال للتبشير في بلاد كثيرة، وتوفي سنة ٧٠م ببلاد الحبشة إثر ضرب مبرح أنزله به أحد جنود ملك الحبشة، وفي رواية أخرى أنه طعن برمح في سنة ٦٢، بعدما قضى نحو ٢٣ سنة مبشرا بأثيوبيا كما هو الراجح، وكتب إنجيله باللغة العبرية (تاريخ الأمة القبطية ٥٢/٢).

(٣) في الترجمة الحديثة: "مرقس": اسمه يوحنا، ويلقب بمرقص، وأصله من اليهود، وهو من التلاميذ السبعين على الأرجح، وابن أخت القديس برنابا، وقد صاحب بولس وبرنابا في رحلاتهما وتبشيرهما بالمسيحية في قبرص وآسيا الصغرى، ثم صاحب بطرس كبير الحواريين نفسه، وقضى معه شطراً من حياته، وتبعه إلى روما، وبعد موت بطرس، ذهب مرقص إلى شمال أفريقية ثم إلى مصر، ونشر فيها المسيحية وأنشأ بها بطرياركة الاسكندرية التي يتولاها الآن بابوات الأقباط الأرثوذكس الذين يعتبرون أنفسهم خلفاء مرقص، واستشهد في مصر حوالي سنة ٦٨ ميلادية.
(الأسفار المقدسة ٧٤، وانظر أيضا تاريخ الأمة القبطية٢/٦١-٦٦).

(٤) لوقا: ولد في أنطاكية ودرس الطب ونجح في ممارسته وكان مرافقا لبولس، ورافقه في أسفاره وأعماله، وهو كاتب سفر أعمال الرسل، ويروي بعضهم أنه مات في حكم نيرون. ويقول بعض آخر إنه مات في مدينة بتراس (بلاد اليونان) سنة ٧٠م وكتب إنجيله باليونانية (تاريخ الأمة القبطية ٥٣/٢).

(٥) يوحنا: ولد في بيت صيدا من أعمال الجليل، وهو ابن زبدى وأمه سالومي وأخوه يعقوب الكبير، ويقول التاريخ المسيحي إن يوحنا كان أحب الحواريين إلى المسيح، وكانت مهنته صيد الأسماك كمهنة بطرس، وقف جهوده بعد اعتناقه المسيحية على نشرها والدعوة إليها، وتوفي بين سنتي ٩٨، ١٠٠ بعد الميلاد.
(راجع في ترجمته الأسفار المقدسة ٦٩ وتاريخ الأمة القبطية ٥٣/٢ وقاموس الكتاب ١١٠٨).

ونقصوا، وبدلوا كلام الله تعالى (مثل ما أخبر عنهم سبحانه في كتابه العزيز، وليس هؤلاء من الحواريين، الذين أثنى الله عليهم في القرآن)[١].

أما متى وهو الأول منهم، فما أدرك عيسى (عليه السلام) ولا رآه قط، إلا في العام الذي رفعه[٢] الله فيه إلى سمائه (جل جلاله) وبعد أن رفع عيسى (عليه السلام) كتب متى الإنجيل بخطه، في مدينة الإسكندرية وأخبر فيه بمولد عيسى (عليه السلام) وما ظهر عند ولادته من العجائب، وبخروج أمه به[٣] إلى أرض مصر خائفة من الملك رودس[٤] الذي أراد قتله[٥] وسبب ذلك ما ذكره[٦] متى في إنجيله: (أن ثلاثة نفر من المجوس[٧] الذين في دواخل المشرق، وردوا إلى بيت المقدس، وقالوا: أين هذا السلطان الذي ولد في هذه الأيام؟ فإنا رأينا نجمه طلع ببلادنا وهو دليل ميلاده، وقد أتينا له[٨] بهدية، فلما سمع الملك رودس

---

(١) ما بين القوسين من : "ق".

(٢) ب : "رفع فيه إلى السماء".

(٣) "به" : من أ.

(٤) في الترجمة الحديثة: "هيرودس" دخل القدس فاتحا بمعونة الرومان، تزوج عشر نساء وكان له أبناء كثيرون يتنافسون على وراثة العرش، كان هيرودس قاسي القلب يسعى وراء مصلحته، قتل عدة زوجات وأبناء خوفاً من مؤامراتهم، ولد نبي الله عيسى أواخر أيامه، بعد أن كانت نقمة الشعب عليه قد بلغت أشدها، مرض مرضاً خطيراً، وسافر إلى شرقي الأردن للاستشفاء بحماماتها، ثم عاد إلى أريحا أسوأ مما كان عليه قبلا، وهناك مات، وهو في السبعين من عمره، بعد أن ملك أربعاً وثلاثين سنة، ويقال إنه أمر بقتل وجهاء القدس ساعة موته حتى يعم الحزن المدينة، ولا يجد أحد السكان فراغا ليبتهج بموت ملكه المكروه.

(انظر: قاموس الكتاب المقدس ١٠٠٨).

(٥) ط : "قتل ابنها عيسى عليه السلام".

(٦) أ : "ماذكر" ب : "على ذكر".

(٧) ط : "المجوس بدواخل المشرق".

(٨) ب ، ق : "أتيناه".

بذلك[1] تغير، وجمع علماء اليهود وسألهم عن هذا[2] المولود، فقالوا له: إن أنبياء بني إسرائيل (عليهم السلام) أخبرونا في كتبهم أن المسيح (عليه السلام) يكون مولده ببيت المقدس في[3] بيت لحم[4] في هذه الأيام، فأمرهم أن يسيروا إلى بيت لحم، ويبحثوا عن هذا المولود، فإذا وجدوه يعرفونه[5] به، وذكر لهم أن قصده الاجتماع به، وأن يعبده، وليس الأمر كما ذكر، بل كان ذلك منه مكراً وخديعة، وكان عازماً على قتله، فانصرف المجوس الثلاثة إلى بيت لحم فوجدوا مريم وابنها عيسى في حجرها وهي ساكنة في دويرة صغيرة[6]، فأعطوها الهدية، وسجدوا لابنها وعبدوه، ثم رأوا في الليل ملكاً من الملائكة، فأمرهم أن يكتموا مولد عيسى (عليه السلام) وأن يرجعوا من غير الطريق الذي أتوا منه[7].

ثم أقبل الملك على[8] مريم وعرفها بمكر الملك رودس، وأمرها أن تهرب بعيسى (عليه السلام) إلى أرض مصر ففعلت ما أمرها به[9].

هذا كلام متى في إنجيله، وهو باطل وكذب وزور، وبيان ذلك: أن بيت

---

(١) ب : "بهذا".
(٢) ب : "ذلك".
(٣) ب : "في بلد بيت لحم".
(٤) بيت لحم: اسم عبري معناه: "بيت الخبز" قرية صغيرة مبنية على أكمة تبعد ٦ أميال إلى الجنوب من أورشليم، وهي محاطة بتلال تكسوها الأشجار والنباتات الجميلة، وفيها مياه عذبة تتفجر من أراضيها الخصبة، ولد في تلك القرية نبي الله عيسى (عليه السلام) ولبيت لحم أكثر من ٤٠٠٠ سنة منذ أسست ولم تزل صغيرة حتى إلى مابعد أيام المسيح (عليه السلام).
(قاموس الكتاب المقدس ٢٠٥).
(٥) ب : "يعرفوه".
(٦) "صغيرة" سقط : ط.
(٧) ب ، ق : "منها".
(٨) ط : "إلى".
(٩) إنجيل متى الإصحاح ٢ عدد ١ : ١٤.

لحم بينه وبين المقدس خمسة أميال، فلو كان الملك رودس خائفاً من هذا المولود باحثا عنه لسار بنفسه مع الثلاثة المجوس[1]، أو يبعث معهم من ثقاته من ينصحه في البحث عن المولود على أتم الوجوه. فهذا دليل على كذب متى في هذه الحكاية.

وأيضاً فإن لوقا ومرقس ويوحنا لم يذكروا شيئاً من هذا في أناجيلهم، ومتى لم يحضر المولود، ولكنه نقله عن كذاب[2] افتعله على ما نقله.

وأما لوقا فلم يدرك عيسى (عليه السلام) ولا رآه أبداً، وإنما تنصر بعد رفع عيسى (عليه السلام) وكان تنصره على يد بولس[3] الإسرائيلي، وبولس أيضا لم يدرك عيسى ولا رآه، وكان من أكبر أعداء النصارى حتى حصل بيده[4] أمراً من

---

(١) ب ، ق : "نفر".

(٢) ط : "كذاب فنقله على ما نقله".

(٣) بولس: كان اسمه (شاعول) وكان من ألد أعداء المسيحيين الأول، ولبولس هذا دور خطير في المسيحية فهو مخترع المسيحية الحالية وواضع عقائدها، ومن أهم هذه العقائد التي وضعها بولس:

١- تأليه المسيح والروح القدس والقول بالتثليث.

٢- صلب المسيح تكفيرا عن خطيئة آدم، وفداء للبشر.

٣- قيامة عيسى من الأموات، وصعوده إلى السماء، وجلوسه عن يمين الله.

٤- أن عيسى هو الذي يحاسب البشر يوم القيامة وليس الله.

٥- أن المسيحية دين للناس جميعا، وليس قصرا على بني إسرائيل فقط.

وإلى بولس هذا ترجع شرائع الكنيسة وتقاليدها المتبعة حتى الآن، فهو الذي استبدل الأحد بالسبت، وهو الذي أمر بعدم الختان، وهو الذي سن للكنيسة تقاليدها من التراتيل والأناشيد والأغاني الروحية، وكان تحول بولس إلى المسيحية عام ٣٨م تقريبا ويقال إنه قتل في اضطهادات نيرون للمسيحيين عام ٦٦ أو ٦٧م تقريبا. (راجع سفر أعمال الرسل وقاموس الكتاب المقدس ١٩٥، والمسيحية للدكتور أحمد شلبي ١٠٤، والملل والنحل للدكتور محمود مزروعة ٩٦).

(٤) "بيده" سقط ط.

ملوك الروم بأنه حيثما وجد نصرانيًا يأخذه ويحمله إلى بيت المقدس، ويسجنه هناك.

وقد حكى لوقا المذكور في كتابه الذي سماه: بقصص الحواريين[1] "أن بولس هذا كان يسير مع جملة فرسان، وإذا به ينظر إلى ضوء كشعاع الشمس إذ سمع صوتا من الضوء يقول له: "لأي شئ يا بولس تضرني"؟

فهذه الحكاية كذب أو هي من خدع الشيطان "فقال له بولس: ومن تكون أنت يا سيدي؟ فقال له: أنا عيسى المسيح، فقال له بولس: وكيف ضررتك، وأنا ما رأيتك؟ فقال له: إذا ضررت أمتي كأنك ضررتني، فارفع يدك عن مضرتهم، فإنهم على الحق، واتبعهم تفلح، فقال له بولس: يا سيدي وما تأمرني به، فقال له: سر إلى مدينة دمشق. فابحث[2] فيها عن رجل اسمه "أنانيا"[3] فهو يعرفك ما يكون عملك عليه، فسار إلى دمشق، وسأل عن الرجل فوجده وأخبره بما سمع من كلام عيسى، وطلبه أن يدخل معه في دين النصارى، فأجابه لما طلب وعظمه بعد أن تبين إيمانه بعيسى (عليه السلام).

فهذا بولس تنصر على يد "أنانيا" ولوقا تنصر على يد بولس –كما قلنا – وأخذ كتّاب الإنجيل عنه، وكلاهما لم يدرك عيسى ولا رآه قط، فهذا هو التخليط، وفيه دليل كذبهم وبطلانهم (أبعدهم الله تعالى).

وأما مرقس فما رأى – أيضا – عيسى (عليه السلام) قط وكان دخوله في

---

(١) يعرف هذا الكتاب الآن "بأعمال الرسل".

(٢) "فابحث فيها... دمشق" سقط ط.

(٣) في أعمال الرسل (٩ : ١٢) حنانيا، وفي أ ، ب : "أتانيا".

ثانيا:أن معنى (وروح منه) أنه خلق بنفخ من روح الله وهو جبريل عليه السلام. ويوضحه قوله تعالى في أمه: ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[1].

وقال تعالى فيها:﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[2].

فالذي عليه كثير من المفسرين أن جبريل هو الذي نفخ في جيب درع مريم لحملت بإذن الله، وإنما أضافه إلى نفسه بقوله "منه" لأنه وجد بأمر الله"[3].

١. يقول الأستاذ سيد قطب في تفسير قوله تعالى: "وروح منه" (وقد نفخ الله في طينة آدم من قبلُ من روحه فكان "إنساناً".. كما يقول الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢)﴾.. وكذلك قال في قصة عيسى: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ فالأمر له سابقة. والروح هنا هو الروح هناك.. ولم يقل أحد من أهل الكتاب —وهم يؤمنون بقصة آدم والنفخة فيه من روح الله – إن آدم إله، ولا أقنوم من أقانيم الإله، كما قالوا عن عيسى، مع تشابه الحال من حيث قضية الروح والنفخة ومن حيث الخليقة كذلك.. بل إن آدم خلق من غير أب وأم، وعيسى خلق مع وجود أم.. وكذلك قال الله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

---

(١) سورة التحريم : الآية (١١).
(٢) سورة مريم : الآية (١٦).
(٣) تفسير المنار ٦/٦٨-٦٩ وانظر الكشاف ١/٣١٥ والفتوحات الإلهية ١/٤٥٢.

ويعجب الإنسان – وهو يرى وضوح القضية وبساطتها – من فعل الهوى ورواسب الوثنية التي عقدت قضية عيسى عليه السلام هذا التعقيد كله، في أذهان أجيال وأجيال وهي –كما تصورها القرآن – بسيطة بسيطة، وواضحة مكشوفة إن الذي وهب لآدم.. من غير أبوين.. حياة إنسانية متميزة عن سائر الخلائق بنفخة من روحه، لهو الذي وهب عيسى، من غير أب.. هذه الحياة الإنسانية كذلك.. وهذا الكلام البسيط الواضح أولى من تلك الأساطير التي لا تنتهى عن ألوهية المسيح لمجرد أنه جاء من غير أب، وعن ألوهية الأقانيم الثلاثة كذلك تعالى الله علواً كبيراً [1].

لطيفة:

زعم بعض النصارى أن "من" للتبعيض، وأن عيسى جزء من الله، بمعنى أنه ابنه، ونقل المفسرون أن طبيبا نصرانيا للرشيد ناظر علي بن حين الواقدي المروزي ذات يوم فقال له: إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى عليه السلام جزء منه تعالى، وتلا هذه الآية، فقرأ له الواقدي قوله تعالى: "وسخر لكم مافي السموات وما في الأرض جميعا منه" وقال يلزم إذاً أن تكون جميع هذه الأشياء أجزاء منه تبارك وتعالى، فانقطع النصراني وأسلم ففرح الرشيد بإسلامه، ووصل الواقدي بصلة فاخرة [2].

مناقشة هادئة حول الروح القدس:

الفاهم لعقيدة النصارى يجد أنهم لم يتفقوا على معنى واضح لحقيقة الروح

---

(١) في ظلال القرآن ٨١٧/٢.

(٢) الفتوحات الإلهية ٤٥٢/١ وانظر أيضا عند هذه الآية تفسير أبي السعود ٤٠١/١.

ومنه ما حكى متى[1] في الفصل الثالث عشر من إنجيله أن عيسى (عليه السلام) قال: "يكون جسدي في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال بعد موتي، كما لبث يونس في بطن الحوت".

وهو من صريح الكذب والبهتان الذي كتبه متى في إنجيله؛ لأنه وافق أصحابه الثلاثة على ما في أناجيلهم: أن عيسى مات - بزعمهم - في الساعة السادسة من يوم الجمعة، ودفن في أول ساعة من ليلة السبت، وقام من بين الموتى صبيحة يوم الأحد، فبقي في بطن الأرض على هذا الزعم الفاسد يوما وليلتين.

وعلى ما تقدم من قول متى أن عيسى قال إنه يبقى ثلاثة أيام وثلاث ليال، كما بقي يونس في بطن الحوت، فظهر كذب متى وتناقضه في نقله.

ولا شك في كذب هؤلاء الأربعة الذين كتبوا الأناجيل في هذه المسألة، لأن عيسى (عليه السلام) لم يخبر عن نفسه، ولا أخبر الله عنه في إنجيله بأنه يقتل ويدفن يوما وليلتين[2]، ولا ثلاثة أيام ولياليها[3]. بل هو كما أخبر الله تعالى عنه في كتابه[4] العزيز المنزل على رسوله الصادق الكريم: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾.

---

(١) إنجيل متى الإصحاح ١٢ عدد ٤٠ ولفظه: "لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال".

(٢) أ ، ب ، ق : "وليلة".

(٣) "ولياليها" سقط من ق.

(٤) سورة النساء : بعض آية ١٥٧.

ومنه ما قال مرقس[1]: إن سيدنا المسيح لما قام من بين الموتى كلم الحواريين، ثم صعد إلى السماء من يومه، وخالفه لوقا[2] في كتابه الذي سماه: "بقصص الحواريين" فإنه ذكر فيه أن عيسى (عليه السلام) صعد إلى السماء بعد قيامه من بين الموتى بأربعين يوماً، وحسبك بهذا دليلاً على كذبهم في هذا من أصله، فوالله الذي لا إله إلا هو، ما قتل عيسى ولا دفن ولا قام من قبر بعد يوم ولا بعد أربعين يوما، فلعنة الله على الكاذبين.

(١) إنجيل مرقس الإصحاح ١٦ عدد ٩-١٩.
(٢) ب : "يوحنا" والصحيح ما أثبت.

الباب الثاني

في افتراق النصارى وتعدد(1) مذاهبهم وفرقهم

اعلموا – رحمكم الله – أن النصارى قد افترقوا على اثنين وسبعين فرقة[2].

الفرقة الأولى:

تعتقد أن عيسى هو الله الخالق الباري الذي خلق السموات والأرض، فيقال لهم: كذبتم وكفرتم وخالفتم أناجيلكم، فإن متى[3] قال في الفصل السادس[4] والعشرين من إنجيله: (إن عيسى عليه السلام) قال للحواريين قبل الليلة التي أخذه فيها اليهود، قد تغاشيت من كرب الموت، ثم اشتد حزنه وتغير، وخر على وجهه وهو يبكي ويتضرع إلى الله تعالى ويقول (يا إلهي: إن أمكن صرف كأس المنية فاصرفها، ولا يكون ما أشاء أنا، بل ما تشاء أنت).

---

(1) ط : "على تعدد".

(2) هذا رأي لم يقل به أحد من علماء النصارى، ولكن يبدو أن المؤلف اعتمد في قوله هذا على ما ورد عن رسول الله ﷺ: "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، إحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين، فواحدة في الجنة، واثنتان وسبعون في النار" رواه ابن أبي الدنيا عن عوف بن مالك، ورواه أبو داود والترمذي والحاكم وابن حبان وصححوه عن أبي هريرة بلفظ افترقت اليهود على إحدى أو اثنين وسبعين فرقة، والنصارى كذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا واحدة، قالوا من هي يا رسول الله؟ قال ما أنا عليه وأصحابي. (كشف الخفاء ١/١٦٨-١٦٩).

(3) إنجيل متى الإصحاح ٢٦ عدد ٣٨ : ٣٩.

(4) أ : "الموفى عشرين".

فهذا إقرار من المسيح بأنه آدمي عاجز يخاف نزول الموت عليه، وأن له إلهاً ناداه بإلهي، وتضرع إليه، وزادوا هم أنه مع آدميته وخوفه وحزنه كان من الشاكين في قدرة الله تعالى حيث قال إن أمكن صرف كأس[1] المنية "فاصرفها عنيّ" ؛ لأن هذا عين الشك في قدرة الله تعالى (جل ذكره).

ولا يخلو المسيح من أن يكون قد علم أن الله لا يعجزه شئ، فما معنى قوله، إن أمكن ذلك، وإن كان علم أن الله لا يمكنه[2]، فما معنى سؤاله والتضرع إليه؟! وحاشا روح الله ورسوله أن يشك في قدرة الله تعالى، بل كان عالما في درجات اليقين بأن[3] الله لا يعجزه شئ، وكل ما كان يجري على يديه من المعجزات فإنما كان بقدرة الله تعالى، ومشيئته الإلهية، لا إله إلا هو.

ويقال لهذه الفرقة – أيضا[4] – قد خالفتم ما قال يوحنا[5] في الفصل السابع عشر من إنجيله: (إن المسيح رفع طرفه[6] إلى السماء وتضرع إلى الله (تعالى) وقال: يا رب إني أشكر لك[7] استجابة[8] دعائي، وأعترف لك بذلك، وأعلم أنك في كل وقت تجيب دعائي، ولكن أسألك من أجل هؤلاء الجماعة الحاضرين، فإنهم لا يؤمنون[9] أنك أرسلتني).

---

(١) "كاس" من ب.
(٢) أ : "لا يمكنه ذلك".
(٣) ق : "أن".
(٤) "أيضا" سقط ب.
(٥) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٧ عدد ١-٤.
(٦) أ : "بصره".
(٧) "لك" من ب ، ق.
(٨) ط : "استجابتك".
(٩) ط : "يؤمنون بالذي أرسلني".

فهذا المسيح قد اعترف أن له إلهاً، وتضرع إليه وشكر نعماءه وإجابته لدعائه، فكيف يقولون: إن عيسى هو الذي خلق السموات والأرض؟ وهل يكون في العقول السليمة أشنع من هذا!!.

ومما بكتبهم ما قال يوحنا[1] في الفصل الخامس من إنجيله: إن عيسى عليه السلام قال لليهود من يسمع كلامي، ويؤمن بالذي أرسلني دخل الجنة .

وفي هذا الفصل من إنجيله[2]: "أن اليهود قالوا يا عيسى[3] من يشهد لك بما تقول؟ فقال الرب الذي أرسلني هو الذي يشهد لي".

فهذا[4] عيسى مقر بأنه نبي مرسل، وأن له رباً أرسله، وأن الذي يعمل بما يسمع منه ويؤمن بالذي أرسله دخل الجنة.

ومما بكتبهم – أيضاً – ما قال مرقس[5] في الفصل الأول من إنجيله إنه كان ببيت المقدس مجنون يتكلم الجني على[6] فمه فاجتاز عليه عيسى فصاح به الجني[7]، وقال يا عيسى: أي شئ لك عندي؟ أتحب أن تخرجني من هذا الجسد حتى يعلم الناس أنك نبي، وأنك روح الله، وأن الله تعالى أرسلك؟؟ فأمره عيسى بالخروج فخرج وقام الرجل صحيحاً سالماً، فتعجب الحاضرون من ذلك).

وهذا غاية الوضوح والدلالة على أن عيسى بشر من[8] جملة البشر، ورسول من جملة الرسل (صلى الله عليهم أجمعين).

---

(١) إنجيل يوحنا الإصحاح ٥ عدد ٢٤.
(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح ٥ عدد ٣٦.
(٣) ط "لعيسى".
(٤) ط : فهذا دليل على أن عيسى.
(٥) إنجيل يوحنا الإصحاح ٥ عدد ٣٦.
(٦) ط : "من".
(٧) ط : "الجن".
(٨) "من جملة البشر" من أ.

الفرقة الثانية:

تعتقد أن عيسى ابن الله، وأنه إله وإنسان فهو إله من جهة أبيه[1]، وإنسان من جهة أمه، وأن اليهود قتلوا إنسانيته، وأن الألوهية بعد ما دخل جسد إنسانيته القبر نزلت[2] إلى جهنم، وأخرجت منها آدم، ونوحاً، وإبراهيم. وجميع الأنبياء وأنهم كانوا فيها من أجل خطيئة أبيهم آدم في الأكل من الشجرة، وأن جميع هؤلاء الأنبياء صعدوا إلى السماء في صحبة الألوهية بعد اجتماع لاهوته بناسوته.

وهذا الاعتقاد[3] في غاية الكفر، والحمق، والفساد، في دينهم فنعوذ بالله مما ابتلاهم به.

ويقال لهم: كذبتم على الله وعلى رسوله عيسى ودليل ذلك ما هو في كتبهم،وما قاله[4] مرقس[5] في الفصل الثاني عشر من إنجيله: إن عيسى (عليه السلام) قال للحواريين: (اعلموا واعتقدوا أن أباكم السماوي الذي في السماء) يعني بذلك الله تعالى – هو واحد فرد، لم يلد، ولم يولد، فأي شهادة على كذبهم أبين من هذا الذي في إنجيلهم بشهادة عيسى (عليه السلام)؟

وباقي فرق النصارى عقائدها كلها كفر وكذب وتحكم بالبهتان، وتركت ذكرهم قصد[6] الإيجاز والتخفيف وبالله التوفيق.

---

(١) ق : "الله".
(٢) ط : "فنزل... وأخرج".
(٣) أ : "اعتقاد".
(٤) ق : "وما قاله متى في الفصل التاسع عشر".
(٥) إنجيل مرقس الإصحاح ١٢ عدد ٢٨ : ٢٩ ولفظه: "فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسنا، سأله أية وصية هي أول الكل. فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد".
(٦) ب ،ق : "قصدا للإيجاز".

الباب الثالث

في بيان فساد قواعد دين النصارى

وهي التي لا يرغب عنها منهم إلا القليل، وعليها إجماع جمهورهم[1] الغفير، ونبين الرد عليهم بنص أناجيلهم في كل قاعدة من قواعدهم.

اعلموا – رحمكم الله – أن قواعد دين النصارى خمس[2]، وهي:

- التغطيس.
- والإيمان بالتثليث.
- واعتقاد التحام أقنوم الابن في بطن مريم.
- والإيمان بالقربان كيف ينبغي.
- والإقرار بجميع الذنوب للقسيس.

القاعدة الأولى: في التغطيس وصفته[3].

اعلموا – رحمكم الله – أن لوقا[4] قال في إنجيله: "إن عيسى (عليه السلام) قال من تغطس دخل الجنة، من لم يتغطس دخل[5] جهنم خالدا فيها أبداً".

---

(١) أ ، ق : "جمعهم" ، ب :"جمهم".

(٢) ط : "خمسة".

(٣) التغطيس: ويسمى "المعمودية" أحد أسرار الكنيسة السبعة عند النصارى ويقولون عنه إنه "سر مقدس به نولد ميلاداً ثانيا، بتغطيسنا في الماء ثلاث دفعات على اسم الثالوث: الأب، والابن، والروح القدس".
(انظر: حبيب جرجس، أسرار الكنيسة السبعة ٢١).

(٤) انظر إنجيل مرقس ١٦ : ١٦.

(٥) ط : "فله".

فمن أجل هذا النص، يعتقد النصارى أنه لا يمكن دخول الجنة إلا بالتغطيس.

فيقال لهم: ما تقولون في إبراهيم، وموسى، وإسحاق، ويعقوب، وجميع الأنبياء (عليهم السلام) هم في الجنة أم لا؟ فلابد أن يقولوا: هم في الجنة، فيقال لهم: كيف دخلوها ولم يتغطسوا؟ وهم يجيبون[1] عن هذا بأن الاختتان أجزأهم عن التغطيس، فيقال لهم: ما[2] تقولوا في آدم[3] ونوح (عليهما السلام) وذريته لصلبه، فإنهم ما اختتنوا ولا تغطسوا قط وهم في الجنة بنص أناجيلكم وإجماع علمائكم، وليس لهم عن هذا جواب البتة.

واعلموا أن هذه القاعدة في التغطيس مما افتعلوه مكذوباً في أناجيلهم افتراءً على الله ورسوله.

وصفة التغطيس[4] :

أن في كل كنيسة حوضاً رخاماً وكيزاناً[5] يملؤه القسيس بالماء، ويقرأ عليه ما تيسر من الإنجيل،ويرمي فيه مِلحاً كثيرا وشيئاً من دهن البلسان[6] ، فإن كان

---

(١) ط : "مجيبون".
(٢) ط : "فما".
(٣) "آدم" سقط أ.
(٤) قال صاحب المبادئ المسيحية: "يتم بواسطة التغطيس في الماء، ولا يمكن أن يتم بالرش، بل بانغمار الجسم كله في الماء، إذ أن كلمة معمودية معناها في الأصل "صبغة" وصبغ الشئ لا يتم إلا بوضعه في السائل وغمره به" (حبيب جرجس ١٠٦/٢-١٠٧).
(٥) ط : "أو كذا" وفي ق : "أو كدان".
(٦) بلسان: وطن البلسان بلاد الحبش، وهو شجر يبلغ علوه ١٤ قدما، ذو ساق ناعمة وأوراق خضراء، وقد ذكر له الأطباء في القديم منافع عظيمة في شفاء الأمراض والجروح، وقد كان التجار يحملونه إلى مصر ويبيعونه لسكان البلاد الذين يحنطون موتاهم به. (راجع قاموس الكتاب المقدس ١٨٨).

أحد يطلب أن يتغطس ممن تنصر وهو رجل كبير السن يجتمع له بعض أعيان النصارى مع القسيس ليشهدوا عليه – بزعمهم – بين يدي الله بالتغطيس.

ويقول له القسيس عند حوض الماء المتقدم ذكره: يا هذا، اعلم أن التنصر أن تعتقد أن الله ثالث ثلاثة، وتعتقد أنك لا يمكن لك دخول الجنة إلا بالتغطيس، وأن ربنا عيسى ابن الله، وأنه التحم في بطن أمه مريم فصار إنساناً وإلهاً فهو إله من جوهر أبيه وإنسان من جوهر أمه، وأنه صلب ومات وعاش، وصار حيًّا بعد ثلاثة أيام من دفنه، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، ويوم القيامة هو الذي يحكم بين الخلق، وأنك آمنت بكل ما يؤمن به أهل الكنيسة، فهل آمنت بهذا كله؟؟ فيقول المتنصر: نعم، فحينئذ يأخذ القسيس صحفة من ماء ذلك الحوض، ويسكبها[1] عليه، وهو[2] يقول له: وأنا أغطسك باسم الأب والابن والروح القدس، ثم يمسح الماء عنه بمنديل وينصرف، وقد دخل دين النصارى.

وأما تغطيس ولدان[3] النصارى، فهو في اليوم الثامن من ولادتهم يجئ بهم

ويقول القلقشندي في وصفه: "هو نبات يزرع ببقعة مخصوصة بأرض المطرية من ضواحي القاهرة، ويسقى من بئر مخصوصة هناك، يقال إن المسيح (عليه السلام) اغتسل بها حين قدمت به أمه إلى أرض مصر، والنصارى تزعم أنه حفرها بعقبه وهو طفل، حين وضعته أمه هناك... والنصارى كافة تعتقد فيه ما تعتقد، وترى أنه لا يتم تنصر نصراني حتى يوضع شئ من هذا الدهن في ماء المعمودية عند تغطيسه فيها". (انظر: صبح الأعشى ٢/٢٨٣).

(١) هذا عند بعض فرق النصارى، أما فرقة "الأرثوذكس" فتؤكد على ضرورة التغطيس ولا تكتفي بالرش. (راجع أسرار الكنيسة ٣١).

(٢) ب : "ويقول له".

(٣) اختلف النصارى في وجوب تعميد الأطفال، فقال بعضهم: إنه لا لزوم لتعميد الأطفال، وأن التعميد للذين تعدوا مرحلة الطفولة وبلغوا سن الرشد، بحيث يمكن

آباؤهم إلى الكنيسة، ويوضع[1] الولد بين يدي القسيس فيخاطبه القسيس بالكلام المتقدم ذكره، فيقرر عقائدهم عليه، ويجاوب[2] عنه أبوه وأمه بقولهما: نعم، ثم يحملان ولدهما وقد تنصر فهذه صفة تغطيسهم.

واعلموا أن هذا الماء الذي يضعه القسيس في أحواض الكنائس منه ما يبقى أعواماً وأحقاباً طويلة ولا ينتن، ولا يتغير، فيتعجب عوام النصارى من ذلك، ويعتقدون أنه من بركة القسيس، وبركة الكنيسة، ولا يعلمون أن ذلك من كثرة الملح ودهن البلسان وهما اللذان يمنعان من تعفن الماء، والقسيس لا يرمي ملحاً ولا دهن بلسان إلا في الليل، أوفي وقت لا يراه أحد من عامة النصارى البتة.

وهذا من بعض حيل القسيسين في ضلالتهم وإضلالهم، وقد كنت في الجاهلية زماناً في ذلك الدين صنعت ذلك، وغطست كثيراً من النصارى مراراً، والحمد لله الذي هداني إلى الحق، وأخرجني من الظلمات إلى النور.

القاعدة الثانية: وهي الإيمان بالتثليث:

وعندهم لا يمكن دخول الجنة إلا به على ما شهدت به أئمة الضلال والكفر والإضلال من أوائلهم، فيؤمنون بأن الله – تعالى عن قولهم – ثالث ثلاثة، وأن عيسى هو ابن الله، وأن له طبيعتين[3]، ناسوتية ولاهوتية، وتلك الطبيعتان

لهم فهم الخلاص والاعتراف بالتوبة، إلا أن طائفة الأرثوذكس تعتبر معمودية الصغار واجبة، ولذلك يقول صاحب المبادئ المسيحية: "فالذين ينكرون وجوب معمودية الأطفال يخطئون في حق الله ويضادون كتابه المقدس وتعليمه الصريح". (راجع قاموس الكتاب ٦٣٧، والمبادئ المسيحية ٢/١٠٥-١٠٦).

(١) في بعض النسخ: "ويضع".

(٢) ق: "ويجيب".

(٣) هذا ما تقول به فرقة الكاثوليك، أما فرقة الأرثوذكس فيرون أن للمسيح طبيعة واحدة.

صارتا شيئاً واحداً، فصار اللاهوت إنساناً محدثاً، تامًّا مخلوقًا، وصار الناسوت إلهاً تامًّا خالقًا غير مخلوق.

وبعضهم يقولون: الثلاثة هم الله، وعيسى، ومريم. ولا شك في كفر القائلين.

ولا يشك ذو عقل سليم أن كل من له مسكة[1] من العقل يجب عليه أن يحول[2] نفسه عن اعتقاد هذا الإفك الغثيث البارد السخيف الرذيل الفاسد، الذي تتنزه عنه عقول الصبيان، ويضحك منه ومنهم، ذو الأفهام والأذهان[3]، فالحمد لله الذي أخرجني من زمرتهم وعافاني من بينهم..

ويلزمهم على مقتضى[4] قولهم – أن المسيح[5] ابن الله – أن تكون ذاته كذات الله، وله علم وقدرة كعلمه وقدرته، إلى سائر الصفات الأزلية، وهذا باطل.

وبيان بطلانه: ماقاله مرقس[6] في الفصل الثالث عشر من إنجيله: "إن

---

(١) قال في لسان العرب (٤٢٠٤/٥) : "رجل ذو مسكة ومسك، اي رأي وعقل يرجع إليه، وفلان لا مسكة له، أي لا عقل له. ويقال: ما بفلان مسكة أي ما به قوة ولا عقل،ويقال: فيه مسكة من خير بالضم، أي بقية".

(٢) ط : "يرغب".

(٣) "والأذهان... من بينهم" من أ.

(٤) ط : "مفترى".

(٥) "أن المسيح ابن الله"من أ .

(٦) إنجيل مرقس الإصحاح ١٣ عدد ٣٢ ولفظه في الترجمة الحديثة: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الأب".
قال ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح (٢٢٣/٢): "وأما قول المسيح عليه السلام لما سئل عن علم الساعة فقال لا يعلمها إنسان ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الأب فقط فنفى عن نفسه علم الساعة وهذا يدل على شيئين: على أن اسم الابن إنما يقع على الناسوت دون اللاهوت، فإن اللاهوت لا يجوز أن ينفي عنه

الحواريين سألوا عيسى عن الساعة التي هي القيامة، فقال لهم: إن ذلك اليوم لا تعلمه الملائكة الذين في السماء، ولا يعلمه إلا الأب وحده" يعني الله تعالى.

فهذا إقرار من عيسى بأنه ناقص علم حتى عن الملائكة، وأن الله تعالى هو المنفرد بعلم الساعة وقيامها، وأن عيسى لا يعلم إلا ما علمه الله تعالى.

وفي الفصل السادس والعشرين من إنجيل متى[1] أن عيسى (عليه السلام) حين عزم اليهود على أخذه وقتله تغير في تلك الليلة وحزن حزناً شديداً" وكل من يحزن ويتغير فليس بإله، ولا بابن إله عند كل ذي عقل صحيح، وإن هذا لأشنع من قولهم في هذه القاعدة: بأن عيسى له طبيعتان، لاهوتية وناسوتية، وأنهما صارتا شيئاً واحداً، وهذا أقبح ممن يقول: إن الماء والنار صارا شيئاً واحداً، والنور والظلمة صارا شيئا واحداً؛ لأن ادعاء هذا في النار والماء، والنور والظلمة، إنما كان محالاً من جهة أن كل واحد من هذا ضد الآخر، وخالق الخلق الغني بذاته وصفاته عنهم، المقدس[2] في عظمته وكبريائه عن شبه شئ منهم، كيف يتقرر في عقل سليم أنه مازج بعض مخلوقاته حتى صارا[3] شيئاً واحداً، فتعالى الله الملك الحق عما يشركون علوًّا كبيراً.

علم الساعة ويدل على أن الابن لم يكن يعلم ما يعلمه الله، وهذا يبطل قولهم بالاتحاد، فإنه لو كان الاتحاد حقا كما يزعمون لكان الابن يعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر عليه فإنه هو الله عندهم، والناسوت لا يتميز عندهم عن اللاهوت، فيما يوصف به المسيح من كونه عالما قادرا يحيي ويميت".

(١) إنجيل متى الإصحاح ٢٦ عدد ٣٧ : ٣٨ ولفظه: "ثم أخذ معه بطرس وابني زبدى وابتدأ بحزن ويكتئب، فقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت".

(٢) ط : "المتقدس".

(٣) ط : "صار".

وأين كان لاهوته لما مات ناسوته، لاسيما على قولهم إنهما اتحدا وتمازجا والتحما؟؟ فما الذي فرق بينهما[1] عندما ضرب جسده وناسوته بالسياط – على زعمهم – وعصب رأسه بالشوك، وصلب على خشبة وطعن بالرماح حتى مات وهو يصيح جزعاً وخوفاً؟؟

فأين غاب لاهوته عن ناسوته في هذه[2] الشدائد؟! مع[3] الممازجة والالتحام على قولهم؟

وهم يزعمون أن لاهوته فارقه عند الصلب والقتل، وهبط إلى جهنم فأخرج منها الأنبياء، وكان ناسوته في القبر مدفوناً حتى رجع إليه لاهوته فأخرجه من القبر ورجع إليه، ثم صعد به إلى السماء.

هذه كلها دعاوى باطلة، وهي من الكفر الركيك، وفضايح لا يرخصها عقل سليم، وكيف يزعمون أن لعيسى طبيعتين صارتا شيئاً واحداً، وفي أناجيلهم ما يشهد بأنه ليس له إلا طبيعة[4] واحدة آدمية؟!

وبرهان ذلك ما قاله متى[5] في الفصل[6] الثالث عشر من إنجيله: "إن عيسى (عليه السلام) لما انتقل إلى المدينة التي ولد بها، استخف الناس به، فقال لا يستخف بنبي إلا في مدينته".

---

(١) ط : "بينهم".
(٢) "هذه" من أ.
(٣) "مع" من أ.
(٤) يقول الأرثوذكس: إن للمسيح طبيعة واحدة إلهية، بخلاف الكاثوليك الذين يرون أن للمسيح طبيعتين، لاهوتية وناسوتية.
(٥) إنجيل متى الإصحاح ١٣ عدد ٥٧ ولفظه: "وأما يسوع فقال لهم ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته".
(٦) أ ، ب ، ق : "الفصل العاشر".

فهذا إقرار منه بأنه نبي من جملة الأنبياء، وليس للأنبياء كلهم إلا طبيعة واحدة آدمية.

ويؤيد ذلك أيضا – ما قاله شمعون[1] الصفا (ريس الحواريين) لليهود عندما نافقوا على المسيح، فقال: "يا رجال بني إسرائيل اسمعوا مقالتي، إن المسيح هو رجل ظهر لكم من عند الله بالقوة والتأييد والمعجزات التي أجراها الله تعالى على يديه وأنتم كفرتم به".

هكذا في كتاب "قصص الحواريين"[2] وهو عند النصارى كالإنجيل،فأي خبر أوثق من خبره، وأي شاهد أعدل من شمعون الصفا، الذي يتبرك النصارى بذكره، ويؤمنون بكثرة صلاحه وفضله؟؟ وقد شهد على عيسى أنه رجل من جملة

---

(١) شمعون الصفا: المراد به بطرس، كان اسمه الأصلي سمعان، وكانت مهنته صيد الأسماك، وقد دعاه المسيح لمتابعته فآمن به وسماه المسيح "كيفا" (وهي كلمة آرامية تدل على معنى الحجر أو الصخرة" وقال له أنت الصخرة التي سأبني عليها كنيستي، ثم ترجم هذا الاسم إلى اللاتينية في كلمة معناها الصخرة في هذه اللغة وهي "بطرس" وهو رئيس الحواريين جميعاً وأشدهم ملازمة للمسيح وقد وقف جهوده على التبشير بالمسيحية في عهد المسيح ومن بعده في كثير من البلاد فذهب إلى أنطاكية وغيرها، وانتهى به المطاف في روما حيث قبض عليه وزج في السجن وحكم عليه بالإعدام صلباً سنة ٦٧ على الأرجح في زمن نيرون إمبراطور الدولة الرومانية وهو الذي أنشأ كنيسة روما التي يتولاها بابوات الكنيسة الكاثوليكية، وهم يعتبرون أنفسهم خلفاء بطرس، ولذلك تسمى كنيستهم الكنيسة البطرسية. وإليه تنسب رسالتان من الرسائل السبع التي يسمونها "الرسائل الكاثوليكية" وينسب إليه كذلك أنه قد أشرف على تدوين إنجيل مرقس، بل إن بعض المؤرخين ليذهب إلى أنه هو الذي ألف هذا الإنجيل ونسبه إلى تلميذه مرقس. (الأسفار المقدسة ٦٨، وانظر أيضا تاريخ الأم القبطية ٥٦/٢ وقاموس الكتاب المقدس ١٧٤).

(٢) أعمال الرسل الإصحاح ٢ عدد ٢٢.

الآدميين، والأنبياء والمرسلين، الذين أيدهم الله بالمعجزات، وأن كل ما جرى منها على يديه، إنما هو بقدرة الله تعالى ليس للمسيح فيها[1] كسب، فأين هذا الحق ونوره من ظلمة كفرهم في قولهم إن اللاهوت لما التحم بناسوت عيسى – وهو جسده – صار إلهاً تامًّا غير[2] مخلوق؟فيا عباد الله: تأملوا كيف استحوذ الشيطان بظلمة الكفر على بصائر هؤلاء حتى آمنوا بهذا المحال في العقل والعادة، وقلدوا فيه أول الشياطين الذين اختلقوا[3] لهم هذه العقدية الشنيعة المرذولة، نعوذ بالله من حالهم ومآلهم.

وقال لوقا[4] في آخر إنجيله: (إن عيسى بعد ما قام من قبره لقيه رجلان من تلاميذه، وهما القلوباس[5] ولوقا، فقال لهما: مالكما حزينان؟ فقالا له: كأنك غريب وحدك في مدينة المقدس لم تعرف ماجرى فيها في هذه الأيام من أمر المسيح الذي كان رجلاً صادقًا[6] مصدقًا من الله في مقاله وأفعاله عند الله وعند الناس).

---

(١) "فيها" من ب.

(٢) "غير مخلوق فقد كفروا فيا عباد الله" ط ، ب.

(٣) ط : "اخلطوا".

(٤) إنجيل لوقا الإصحاح ٢٤ عدد ١٣ : ١٩، ولفظه: "وإذا اثنان منهم كانا منطلقين في ذلك اليوم إلى قرية بعيدة عن أورشليم ستين غلوة اسمها عمواس، وكانا يتكلمان بعضهما مع بعض عن جميع هذه الحوادث، وفيما هما يتكلمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشي معهما، ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته فقال لهما ما هذا الكلام الذي تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين، فأجاب أحدهما الذي اسمه كليوباس وقال له: هل أنت متغرب وحدك في أورشليم ولم تعلم الأمور التي حدثت فيها في هذه الأيام. فقال لهما وما هي فقالا المختصة بيسوع الناصري الذي كان إنسانا نبيا مقتدرا في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب".

(٥) ط : "القليوفاس".

(٦) من أ .

فهذه شهادة تلميذه – أيضاً – أنه رجل مصدق من الله ليس بخالق ولا إله،ولا ابن إله، فتعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً.

القاعدة الثالثة: وهي[1] اعتقادهم أن أقنوم الابن التحم بعيسى في بطن مريم وما سبب ذلك:

اعلموا – رحمكم الله – أن النصارى يعتقدون أن الله (تبارك وتعالى) عاقب آدم وذريته بجهنم من أجل خطيئة آدم في أكله من الشجرة، ثم إن الله (تعالى) حن[2] عليهم فمنّ عليهم بخروجهم من النار بأن بعث ولده فالتحم في بطن مريم بجسد عيسى فصار إنسانا من جوهر أمه، وإلهاً من جوهر أبيه، ثم ما مكنه[3] من خروج آدم وذريته من النار إلا بموته وبه[4] يفدى جميع الخلق من يد[5] الشيطان وأنه مات بالقتل ثم عاش بعد ثلاثة أيام، ونزل لجهنم وأخرج منها آدم وذريته من جميع الأنبياء بزعمهم[6].

فهذه عقيدة كفرهم البارد الغثيث ودينهم المرذول الخبيث، كما مهد لهم أوائل شياطينهم، من غير استناد إلى دليل، ولا نقل عن نبي ولا رسول، وحاشا أنبياء الله ورسله من هذه الخسائس المضحكة، والفضائح المهلكة، والتناقض الواضح.

فمن المحال أن يكون الخالق الأزلي قد[7] استحال لحماً أو دمًا، أو يكون له

---

(١) ط : "وهي في اعتقادهم".
(٢) حن : أي عطف وترحم (المصباح المنير ١٥٤).
(٣) ب : "أمكنه" والمثبت من أ ، ق.
(٤) ط : "وبها".
(٥) سقط أ.
(٦) سقط أ ، ق .
(٧) من ب .

ولد في الأرض أو في السماء، أو يكون قدمه وبقاؤه اللذان لا نهاية لهما، محدودين، أو متحيزين[١]، أو منتقلين، كلا بل هو الله الذي لا شبيه له ولا نظير تقدس جلاله وتعالى كماله، على أن[٢] يحل في بشر يموت، وكيف وهو الحي الذي لا يموت؟ أو يصير بذاته العلية القدسية في بطن امرأة، وهو الذي وسع كرسيه السموات والأرض.

يقال لهم: إنكم[٣] تعتقدون أن عيسى هو الله،ومن لم يعتقد هذا فليس بنصراني، فلا يجدون بدا من[٤] أن يقولوا: نعم. فيقال لهم: لقد أقدمتم على بهتان عظيم، ومحال بين، حيث صيرتم إنساناً من الناس خالقاً أزليًا، وهو حادث مخلوق، ولا يخلو أمركم في عيسى من خمسة أوجه.

الوجه الأول :

إما أن تكونوا[٥] جعلتموه إلهاً أزلياً أو[٦] مسكناً للإله الأزلي.

والوجه الثاني :

هل قال عيسى[٧] هذا عن نفسه، أو قال عنه تلاميذه الذين نقلوا لكم دينه.

الوجه الثالث :

أن تكونوا جعلتموه إلهًا لأجل الآيات الخارقة التي ظهرت على يديه.

---

(١) ب : "محيزين".
(٢) "على أن" من أ.
(٣) ط : "لا أنتم".
(٤) ب : "سوى".
(٥) ط : "يكون".
(٦) أ : "ومسكنا".
(٧) أ : "عيسى من نفسه"، ط : "عيسى عن نفسه".

الوجه الرابع :

أن تكونوا جعلتموه إلهاً لصعوده إلى السماء.

الوجه الخامس :

أن تكونوا جعلتموه إلهاً لعجب مولده، في[1] كونه من غير أب، فليس ذلك بأعجب من كون آدم خلق من غير أب ولا أم، ولا أعجب من كون الملائكة خلقوا من غير والد ولا والدة، ولا مادة ولا طينة، ولا سمى شيئاً من الملائكة وآدم آلهة، وأنتم تمنعون من ذلك فأخبرونا ما الفرق[2] بينهم وبين عيسى وهم في حكمة الإيجاد أعجب منه.

وإن قلتم: إن عيسى إله لأجل الآيات الخارقة التي ظهرت على يديه فعلماؤكم يعلمون أن اليسع النبي (عليه السلام) أحيا ميتاً في حياته، وميتاً بعد وفاته[3]، والمتصرف بمعجزات الإحياء في البرزخ أي بعد الموت أعجب منها قبل الموت، وإلياس[4] النبي (عليه السلام) أحيا – أيضاً – ميتاً، وبارك في دقيق العجوز ودهنها فلم يفرغ ما في جرابها من الدقيق، وما في قارورتها من الدهن سبعة أعوام، وسأل الله أن يمسك المطر سبعة أعوام، فأجاب الله دعاءه.

---

(١) أ : "لكونه".

(٢) ق : "بالفرق".

(٣) جاء في سفر الملوك الثاني (الإصحاح ١٣ عدد ٢٠ : ٢١) أن اليشع بعد أن مات أتى بميت ووضع في نفس القبر مع اليشع فعادت الحياة إلى جسم ذلك الميت حالما مس جثمانه عظام النبي.
(انظر: قاموس الكتاب المقدس ١١٢).

(٤) إلياس: لفظ يوناني معرب، ويدعى بالعبرية "إيليا" نبي عظيم عاش في المملكة الشمالية. (قاموس الكتاب ١٤٤).

وإن قلتم: إن عيسى أطعم من خمسة أرغفة خمسة آلاف نسمة[1]، فإن موسى كليم الله (عليه السلام) سأل الله العظيم لقومه، فأطعمهم المن والسلوى أربعين سنة، وعددهم أزيد من ستمائة[2] ألف نسمة.

وإن كان عيسى مشى على البحر ولم يغرق فيه، فإن موسى (عليه السلام) ضرب البحر بعصاه فانفلق وصار فيه طرق عبر منها جميع قومه، وأتبعهم فرعون بجنوده فغرقوا كلهم، ثم فجر من صخرة اثنتى عشرة عينا لكل سبط من بني إسرائيل عين، وضرب أهل مصر بعشر آيات[3] من عجائب العذاب:

الأولى : عصاه التي ألقاها من يده، فصارت ثعباناً هائلاً، وابتلعت جميع حبال السحرة.

الثانية : نتن مياههم وموت ما فيها من الحيوان.

الثالثة : إرسال الضفادع عليهم حتى امتلأت منها منازلهم.

الرابعة : تسليط القمل على أجسادهم.

الخامسة : إرسال أنواع من العذاب عليهم.

---

(١) ب : "شخص".

(٢) ق : "ستة آلاف".

(٣) راجع سفر التكوين الإصحاح السابع، والثامن، والتاسع، والعاشر. هذا وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الآيات بقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ (الأعراف آية ١٣٣) ويقول تعالى (النمل آية ١٢) ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ وواضح من الآية الأخيرة أن الآيات تسع، وليست عشراً كما يذكر المؤلف اعتمادا على ما جاء في سفر التكوين.

السادسة : إهلاك بهائمهم كلها.

السابعة : خروج القروح في أجسادهم.

الثامنة : نزول البرد عليهم حتى فسدت أشجارهم.

التاسعة : إرسال الجراد على جميع بلادهم.

العاشرة : ما غشاهم من الظلمة ثلاثة أيام ولياليها.

وإن قلتم : إن عيسى كان إلهاً بنفسه؛ لأنه صعد إلى السماء، فلذلك جعلتموه إلهاً، فيلزمكم في إلياس وإدريس (عليهما السلام) أن تجعلوهما إلهين، لأنهما صعدا إلى السماء بلا خلاف عندكم في ذلك، وأيونا الإنجيلي صعد إلى السماء بنص التوراة وإجماع علمائكم.

وإن قلتم: إن عيسى ادعى الألوهية لنفسه فلذلك جعلتموه إلهاً فقد جاهرتم بالكذب الفظيع، والبهتان الشنيع، وفي أناجيلكم ما يرد عليكم؛ لأن في الإنجيل[1] الذي بأيديكم أنه حين صلب قال: "إلهي، إلهي لم خذلتني" وتقدم له من نص الإنجيل أنه قال: "إن الله تعالى أرسلني إليكم" فأقر بأنه بشر من الأنبياء المرسلين، ونصوص أناجيلكم، في هذا عديدة، على أن ما في مفتعل كذبكم أنه صلب وصاح، ونادى إلهي، إلهي ليس من منصوص الإنجيل الحق،بل هو بهتان كتاب أناجيلكم، وافترائهم على الله تعالى، وإنما احتججنا به عليكم ليظهر تناقضكم وافتضاحكم لبصائر العقلاء، وبالله التوفيق.

---

(١) إنجيل مرقس الإصحاح ١٥ عدد ٣٤.

القاعدة الرابعة : وهي الإيمان بالقربان[1]:

وصفته : اعلموا- رحمكم الله- أن دين النصارى في قربانهم[2] كفر، وهو أن يعتقدوا على فطيرة من خبز إذا قرأ عليها القسيس بعض الكلمات أنها[3] ترجع في تلك الساعة جسد عيسى، وإذا قرأ بعض الكلمات على كأس خمر فإنه يصير في تلك الساعة دم عيسى، والذي تقرر من سنتهم[4] في ذلك أن كل كنيسة لها قسيس كبير يقوم بها، فيجئ قسيس كل كنيسة في[5] كل يوم بفطيرة صغيرة وزجاجة خمر، ويقرأ عليها عند صلاته، فيعتقد النصارى أن الفطيرة صارت جسد[6]، والخمر صار[7] دمه[8]، ويأخذون[9] ذلك من قول متى[10] في الفصل السادس والعشرين من إنجيله: "إن عيسى جمع الحواريين يوماً قبل موته، وتناول

---

(١) القربان : أحد أسرار الكنيسة السبعة، وهو سر مقدس به يأكل المؤمن – المسيحي – جسد المسيح ويشرب دمه، تحت شكلي الخبز والخمر. ويقول حبيب جرجس: إن الخبز والخمر بعد التقديس يستحيلان استحالة سرية (لا تدرك بالحواس) إلى جسد ودم المسيح، فإن كنا نأكل خبزاً ونشرب خمراً، إلا أننا نأكل ونشرب تحت هذين الشكلين جسد المسيح ودمه الأقدسين (المبادئ المسيحية ٢/١١٧-١١٨). وتأمر الكنيسة بالإكثار من تناوله، ووجوب تناوله كل عام مرة واحدة على الأقل (السابق ٢/١٢١) والحق أن مسألة القربان أو العشاء الرباني كما تسمى أحيانا من الأسباب التي أدت إلى ظهور فرقة الإصلاح الديني التي تدعى "البروتستانت" أي المحتجين.

(٢) ط : "قربانهم".

(٣) ط : "فإنها".

(٤) ط : "سننهم".

(٥) "في" سقط أ.

(٦) "عين".

(٧) ط : "صارت" وليست في ب.

(٨) حقيقة لا مجاز!!!

(٩) ق : "يأخذون".

(١٠) إنجيل متى الإصحاح ٢٦ عدد ٢٦ : ٢٨.

خبزة وكسرها، وناولهم كسرة لكل إنسان، وقال لهم كلوا هذا جسمي، ثم ناولهم خمراً وقال لهم اشربوا هذا دمي".

فهذا قول متى في إنجيله، ويوحنا الذي كان حاضراً لعيسى[(١)] حتى[(٢)] رفع، لم يذكر شيئاً من خبر الخبز والخمر في إنجيله، وهذا من الاختلاف الذي يدل على كذب متى ونقله للمحال[(٣)] والبهتان، والنصارى يعتقدون أن كل جزءٍ من أجزاء فطيرة كل قسيس هو عيسى (عليه السلام) بجميع جسده في طوله، وعرضه، وعمقه هو هو، ولو بلغت أجزاء الفطيرة مائة ألف جزء لكان كل جزء منها عيسى.

فيقال لهم: "إن[(٤)] جسد عيسى كان طوله عشرة أشبار مثلا وعرضه شبرين وعمقه شبرا، والفطيرة التي يقرأ عليها القسيس ما يمكن أن تكون ثلاثة أشبار فكيف يكون جسد طوله عشرة أشبار وعرضه شبران وعمقه شبر في شئ طوله ثلث شبر[(٥)].

هذا محال في كل عقل سليم، وهم يجيبون عن هذا بأن المرآة تكون قدر الدرهم[(٦)] والإنسان يرى فيها أكبر الأبراج والمباني العالية إذا قابلها بذلك، وهي أكبر منها بأزيد من ألف مرة.

---

(١) ب : "عند عيسى".
(٢) ب : "حين".
(٣) أ ، ط : "المحال".
(٤) "أن" سقط من ب.
(٥) ق : "ثلاثة أشبار".
(٦) ب ، ط : "الدنيا".

فيقال لهم: إن الذي يرى في المرآة عرض لا جوهر، وأنتم تعتقدون أن[1] جوهر عيسى وعرضه جميعا في تلك الفطيرة، وهذا محال في العقل.

ثم إنكم أجمعتم على أن عيسى صعد إلى السماء وهو جالس فيها عن يمين الله (تعالى عن قولكم) فمن[2] الذي أنزل لكم جسده إلى تلك الفطيرة؟!

ثم إن عيسى رجل واحد، وأنتم تعتقدون أن في كل جزء من أجزاء الفطيرة جميع جسد عيسى، ولو انقسمت على[3] مائة ألف جزء، فلزمكم أن يكون في[4] كل فطيرة مائة ألف عيسى، ثم يتضاعف ذلك بمضاعفة عدد الفطائر، وبعدد الكنائس عندكم، فيصير عيسى أعداداً لا تكاد تتناهى، وكل من قال هذا أو اعتقده فقد جعله الله أضحوكة للعالمين، ومسخرة للشياطين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وصفة قربانهم بالفطيرة المذكورة وصلاتهم: أن القسيس يأمر خادمه أن يعجن له فطيرة[5] من سميد[6] صافي ويخبزها ثم يحملها القسيس مع زجاجة خمر إلى الكنيسة، ويأمر بضرب الناقوس، وإذا[7] اجتمع النصارى للصلاة ووقفوا صفوفاً

---

(١) "أن" سقط ب.
(٢) ب : "فما".
(٣) "على" سقط أ.
(٤) "في كل فطيرة" : من أ.
(٥) كنيسة رومية هي التي ترى العشاء الرباني يكون بالفطير، بيد أن الكنيسة الشرقية توجب استعمال الخبز والخمير، وتذهب إلى أن استعمال الفطير بدعة نشأت منذ الجيل الحادي عشر. (راجع اختلاف النصارى حول استعمال الخبز والفطير في كتاب أسرار الكنيسة السبعة ٨٧).
(٦) السميد : (الطعام) لسان العرب ٣/٣٠٨٩).
(٧) أ ، ق : "فإذا".

ويجعل تلك الفطيرة في منديل نظيف ثم يتقدم قدام الصفوف كلها ويستقبل المشرق، ويأخذ الفطيرة في يده ويقرأ عليها ما نصه عيسى المسيح ليلة أخذته اليهود فإنه أخذ الفطيرة[1] بيده المباركة ورفع عينيه إلى السماء إلى القادر على كل شيء، وبعد التمجيد الواجب كسرها، وأطعم الحواريين كسرة كسرة، وقال لهم: كلوا هذا جسدي، وحين يتم القسيس هذا الكلام يسجد بذاته لتلك الفطيرة محققا أنه[2] جسد عيسى، وأن عيسى هو ابن الله، ويقول القسيس في سجوده مخاطبا الفطيرة[3] أنت إله السموات والأرض، أنت الذي تجسدت في بطن مريم، أنت ابن الله المولود قبل العوالم كلها، أنت من أجل[4] أن تخلصنا من أيدي الشياطين، أنت الذي جالس إلى يمين أبيك في السماء، نسألك أن تغفر لي ولأمتك التي خلصتها بدمك، ثم يظهر تلك الفطيرة لصفوف النصارى فيقع جميعهم لها ساجدين.

ثم بعد ذلك يأخذ كأس الخمر ويقول لهم القسيس: إلهنا المسيح قبل موته أخذ كأساً من الشراب وأعطاه للحواريين، وقال لهم اشربوا هذا دمي، ثم يسجد القسيس للكأس، ويريه للنصارى فيسجدون له، ثم يأكل الفطيرة ويشرب ذلك الخمر، ويقرأ بعد ذلك ما تيسر من إنجيله، ثم يعطي الدعاء ويتفرقون. فهذه صلاتهم وقربانهم، نعوذ بالله من الخذلان.

---

(١) ط : "الخبز".
(٢) ب : "أنها".
(٣) ط ، أ : "للفطيرة".
(٤) أ ، ق : "أجل أنك تخلصنا" في ط : "من أجلك أن تخلصنا".

ظاهر هذا الكلام – لو صح أن المسيح قاله – أن يعمدوهم باسم الآب الذي يريدون به في لغتهم الرب، والابن الذي يريدون به في لغتهم المربي، وهو هنا المسيح.. أما الروح القدس هنا فهو ما أيد الله به المسيح من الملك والوحي وغير ذلك.

وبهذا يتبين لنا أنه ليس فيما ذكروا ما يدل لا نصًا ولا ظاهراً على أن أحداً من الأنبياء سُمى الله، ولا شيئاً من صفاته ابناً ولا روح قدس وتبين أن تسميتهم لعلم الله وكلامه ابناً، وتسميتهم لحياته روح قدس أسماء ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان، وأنه ليس لقولهم بالتثليث وحصرهم لصفات الله في ثلاثة مستند شرعي كما تبين أنه ليس له مستند عقلي[1].

سابعاً: قد يقول قائل: إن النصارى معذورون في قولهم بالتثليث؛ لأنهم أخذوه عن الأنبياء، وثبت ذلك في كتبهم المقدسة لديهم، ونرد عليهم بما يلي:

(أ) إن رسل الله وأنبياءه – ونبي الله عيسى واحد منهم – لا يقولون إلا الحق والصدق الذي لا يتعارض مع العقل بل يصدق بعضه بعضاً.. نعم قد يقول الرسول قولاً يعجز العقل عن إدراكه ومعرفته، ولكن يستحيل في حق الرسل أن يخبروا بما يرده العقل، وترفضه الفطرة السليمة.

(ب) ما ينقل عن الرسل والأنبياء لا يكون حجة إلا بشروط منها:

أن ينقل إلينا بالتواتر، أي يرويه جمع عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب بحيث يروي جمع عن جمع أن هذا الرسول قال هذا الكلام بسند متصل.

---

(١) انظر: الجواب الصحيح (١٣٤/٢).

كذلك لابد من العلم بأن هذا الكلام الذي قاله الرسول بلغته ترجم إلى اللغة الأخرى ترجمة صحيحة، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة المترجم وتمكنه من اللغتين، وهل هو أمين ثقة أم غير ذلك.

وأيضاً لابد أن نعرف بالدليل أن هذا المعنى الذي فسر به علماء النصارى النص هو الذي أراده الرسول الذي نقل عنه، وليس مع النصارى حجة يثبتون بها هذه المقدمات الثلاث، ولذلك فنحن في هذا المقام يكفينا المنع، والمطالبة لهم بتصحيح هذه المقدمات فإنهم إن ادعوا أن التثليث أخذوه عن الأنبياء، فنحن نطالبهم بتصحيح هذه المقدمات.

(ج) إنه لا يوجد في كتب الأنبياء وكلامهم إطلاق اسم الأب والمراد به أب اللاهوت، ولا إطلاق اسم الابن والمراد به شئ من اللاهوت، ولا كلمته ولا حياته، بل لا يوجد لفظ الابن إلا والمراد به المخلوق، فلا يكون لفظ الابن إلا لابن مخلوق.

فيلزم من ذلك أن يكون مسمى الابن في حق المسيح هو الناسوت.. وهذا يبطل قولهم: إن الابن وروح القدس أقنومان أو صفتان لله، وتبين أن نصوص كتبهم تبطل مذهبهم في التثليث وتناقض أمانتهم[(١)].

ثامنا: يقول القاضي عبد الجبار: "أما الكلام عليهم في التثليث، فهو أن يقال: إن قولكم، إنه تعالى جوهر واحد ثلاثة أقانيم مناقضة ظاهرة، لأن قولنا في الشئ إنه واحد، يقتضي أنه في الوجه الذي صار واحداً لا يتجزأ ولا يتبعض،

(١) انظر: الجواب الصحيح (٢/١٢٢-١٢٣).

كفركم وإشراككم قد[1] قطع الله رجاءكم منها بقوله الصادق في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[2].

فإذا كانت مغفرته لكم محالاً بخبر الصادق، فمغفرة القسيس لكم أشد في المحال وأقرب لسخرية الشيطان وجنوده منكم واستهزائه بكم، ومن يغفر الذنوب إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) ب : "فقد".

(٢) سورة النساء : الآية ٤٨ ، ١١٦.

الباب الرابع

في[1] عقيدة شريعتهم[2]

وجميع النصارى مستمسكون[3] بها إلى يوم[4] القيامة ولا يتركها إلا قليل منهم، وهي[5] كلها كفر ومحال ينقض[6] بعضها بعضا، وكان الذي ألفها لهم رجل من قدمائهم يقال له "بيطر"[7] من أهل مدينة رومه، وهذا نصها[8]: "نؤمن بالله الواحد الأب، مالك[9] كل شئ صانع ما يرى وما لا يُرى، ونؤمن بالرب المسيح ابن الله الواحد، بكر الخلائق كلها، ولد من أبيه قبل العوالم كلها، ليس بمصنوع، إله حق من جوهر أبيه، الذي بيده أتقنت العوالم كلها، وهو خالق كل شئ الذي[10] من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس، وصار إنساناً وحملت به مريم، وولد من مريم البتول، فأوجع وأولم وصلب في أيام بيلاطوس الملك، ودفن وقام في اليوم الثالث من بين الموتى

---

(١) ط : "في بيان عقيدة".
(٢) ب : "شرائعهم".
(٣) ط : "متمسكون".
(٤) ط : "اليوم ولا يتركها".
(٥) أ : "وكلها".
(٦) ط : "يفسد".
(٧) ط : "شمعون الصفا".
(٨) هذا ما يسمى عند النصارى بقانون الإيمان، الذي انتهت إليه قرارات المجتمعين بمجمع نيقية سنة ٣٢٥م (راجع: الشهرستاني، الملل والنحل ٢٢٣/١).
(٩) أ : "خالق".
(١٠) "الذي" سقط من ط.

مثل ما كتب بذلك الأنبياء (وكذب الكافر على الأنبياء، صلى الله على نبينا وعليهم أجمعين، وحاشاهم أن يقولوا مثل هذا المحال) ثم صعد إلى السماء، وجلس عن[1] يمين أبيه[2]، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمن بالروح القدس الذي يخرج من الآب والابن وبه كان يتكلم الأنبياء.

والتغطيس هو غفران الذنوب، ونؤمن بقيام أبداننا، وبالحياة الدائمة أبد الآبدين".

وهذا الكلام - رحمكم الله - ينقض بعضه بعضا، فأوله نؤمن بالله الواحد الآب، مالك[3] كل شئ، صانع ما يرى وما لا يرى، ونؤمن بالرب الواحد[4] المسيح إله حق من جوهر أبيه ففي أول كلامهم الشهادة لله بأنه واحد، ويليه الشهادة عليه تعالى بأن[5] له ولداً، وهو إله مثله، وأنه من جوهره، وهذا في غاية الكفر والشرك، وفي غاية الضد والتناقض لوحدانية الله الواحد الأحد لا شريك له، ولا شبيه له تبارك الله وتقدس عن كفرهم.

وقد قال في أول كلامه: إن الله خالق كل شئ، ثم فيما بعده، ونؤمن بأن المسيح خالق الأشياء كلها الذي بيده أتقنت، فأثبت أن مع الله إلهاً[6] خالقاً كل[7] شئ، وهذا من أفضح التناقض.

---

(١) ط : "على".
(٢) أ : "الله".
(٣) أ : "خالق".
(٤) من أ.
(٥) ط : "بأنه".
(٦) "إلها" من أ.
(٧) أ ، ق : "لكل".

وكذلك قوله: إن الله تعالى صانع ما يرى وما لا يُرى فدخل فيه المسيح لأنه بالضرورة مما يرُى، ثم أعقب[(١)] ذلك بقوله: المسيح خالق كل شئ، وأنه غير مصنوع وهذا تناقض ورعونة لو ميزتها البهائم لأنكرتها[(٢)] على النصارى، فنعوذ بالله من الخذلان، واستحواذ الشيطان، فإنه تلاعب بهم كيف أراد، وقادهم إلى جهنم وبئس المهاد.

وقد قال: "ولد من أبيه قبل العوالم، وهو بكر الخلائق كلها" فمتى خلق كل شئ قبل ميلاده وهو عدم؟ أو[(٣)] بعد ميلاده وهو صبي رضيع؟!! ومن كان يدبر السموات والأرض ومن فيهما قبل ميلاده وإيجاده؟ وكيف[(٤)] يكون بكر الخلائق وهو الخالق لجميعها بزعم هذا لأن معنى قوله بكر الخلائق أي أول ما وجد منها وشريعة النصارى مبنية على هذا التناقض والمحال؛ لأنهم مجمعون[(٥)] على أن المسيح أزلي خالق[(٦)] وقديم، وأنه مولود ولد من بطن مريم بعد حملها به.

وهذا[(٧)] كله قد جعلهم الله به أضحوكة لجميع العقلاء العارفين، وقرة لعيون الشياطين.

وانظروا إلى[(٨)] قول هذا الخبيث: إن المسيح إله حق من جوهر أبيه، ثم

---

(١) أ : "عقب".
(٢) ط : "لأنكروها".
(٣) ق : "أم".
(٤) أ : "كيف".
(٥) ط : "يجمعون".
(٦) ب : "خالق قديم".
(٧) ب : "وبهذا".
(٨) "إلى" من أ.

قال إنه نزل من السماء فتجسد في بطن أمه"[١].

وهذا صريح في[٢] أن المسيح كان جسداً من جوهر في السماء، ثم نزل منها فتجسد في بطن مريم، وليس في تجسد الأجسام والجواهر عجب، وإنما العجب أن يتجسد من ليس بجسد ولا جوهر، وتعالى ربنا خالق الجواهر والأعراض عن أن يكون له جوهر يتكون منه المسيح، أو أن يتجزأ أجزاء ليستقر[٣] منها جزء في بطن مريم يختلط بدمها وبولها وروثها، فما أعظم جرأة هؤلاء الكفرة على الله تعالى، وما أعظم حلم الله تعالى عليهم والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاهم به.

واعلموا أن في نصوص كتبهم ما يبطل هذه العقيدة وجميع عقائد كفرهم في المسيح، وهو ما قال لوقا في الفصل الرابع من قصص الحواريين[٤]: "إن الله خالق العوالم بجميع ما فيها، وهو رب السموات والأرض، لا يسكن الهياكل التي طبعها الأيدي، ولا يحتاج إلى شئ من الأشياء؛ لأنه هو الذي أعطى الناس الهياكل والنفوس وجميع[٥] ما هم فيه من وجودنا به، وحياتنا منه".

وهذا الكلام الذي قاله لوقا هو الذي نزلت به كتب الله تعالى ونطقت به أنبياؤهم (عليهم السلام) فقد تبين أن عقائد النصارى كلها كفر مفتعل ومحال

---

(١) ط : "مريم".

(٢) ط : "بأن المسيح".

(٣) أ ، ق : "يستقر".

(٤) أعمال الرسل ٤ : ٢٤ ولفظه في الترجمة الحديثة: "فلما سمعوا رفعوا بنفس واحدة صوتا إلى الله، وقالوا أيها السيد أنت هو الإله الصانع للسماء والأرض والبحر وكل ما فيها".

(٥) ب : "وجميع ما هم فيه موجود بإرادته".

ركيك، وتناقض قبيح لم يأخذوها عن[1] كتب الله ولا عن[2] أنبيائه، وإنما قلدوا فيها دعاوى باطلة، وأهواء كاذبة، مهدها لهم كل كافر أثيم.

ويقال لهم: هذه العقيدة التي لا اختلاف فيها بين جماهيركم إن لم تكونوا نسبتموها لكتاب ولا نبي[3] أخبرنا عنها هل هي حق أو كلها باطل؟ وإن قالوا بعضها حق وبعضها باطل فقد أبطلوا بعضها وكفروا به؛ لأن الباطل لا يدان به، وإن[4] قالوا كلها حق، فقد اعترفوا فيها[5] بأن المسيح مخلوق مولود، وأن الله تعالى خالقه، وخالق جميع ما يرى وما لا يُرى.

ثم قالوا: "إن المسيح إله خالق لكل[6] شئ" وما ظهر[7] فيه هذا التناقض الشنيع لا يكون حقاً أبداً.

وقولهم في المسيح: "إله من جوهر أبيه، وإله مثله يقتضي المماثلة ولابد، فما[8] الذي صير أحدهما أباً والآخر ابناً، وما الذي خص[9] هذا بالأبوة وهذا بالبنوة، دون تعاكس؟!! نسأل الله ربنا كمال العفو والعافية من حالهم ومآلهم آمين.

---

(١) ط : "من".
(٢) ط : "من أنبيائهم".
(٣) ب : "ولا لنبي".
(٤) ب ، ق : "فإن".
(٥) "فيها" سقط أ ، ط : "فيها بالمسيح".
(٦) أ ن ق : "كل".
(٧) ب : "ومن ظهر" ط : "فما".
(٨) ط : "وما".
(٩) ط ، ق : "خصص".

الباب الخامس

في بيان أن عيسى ليس بإله وإنما هو بشر آدمي مخلوق ونبي مرسل عليه الصلاة والسلام

اعلموا – رحمكم الله – أن كل ما ذكرنا من عقيدة النصارى وكفرهم[(١)] في قولهم إن المسيح هو الله وابن الله، وأنه خالق المخلوقات، يرده ويبطله ما قالته[(٢)] الأربعة الذين كتبوا الأناجيل الأربعة، فقال متى[(٣)] في الفصل الأول من إنجيله: "هذه نسبة المسيح هو ابن داود بن إبراهيم".

وهذا إقرار بأن عيسى مولود تناسل من ذرية داود النبي (عليه السلام) من سبط يهودا بن يعقوب بن إسحاق، بن إبراهيم (عليهم السلام) وكل من ثبت تناسله عن الآدميين هو بلا شك آدمي؛ لأن الله القديم الأزلي لم يلد ولم يولد، وكل ما سواه حادث.

وقال أيضا متى[(٤)] في الفصل التاسع[(٥)] عشر من إنجيله: "إن رجلا قال

---

(١) "وكفرهم وقولهم".

(٢) أ، ق : "ما قاله".

(٣) إنجيل متى الإصحاح الأول عدد (١).

(٤) إنجيل متى الإصحاح التاسع عشر عدد ١٦ : ١٧ ولفظه في الترجمة الحديثة: "وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية فقال له لماذا تدعوني صالحا ليس أحد صالحا إلا واحد، وهو الله".

(٥) أ، ق : "الرابع".

للمسيح يا أيها الخير، فقال عيسى لم[1] سميتني خيراً؟! إن الخير هو الله تعالى".

وهـذا غاية التواضع منه (عليـه السـلام) والتـأدب مع ربه وخالقه فكيف يدعي[2] له شريكاً في الألوهية؟

وقال يوحنا[3] في الفصل السابع عشر من إنجيله: "إن المسيح رفع عينيه إلى السماء وتضرع إلى الله الواحد الخالق، وقال يجب على الناس أن يعلموا أنك أنت الله الواحد الخالق، وأنك أرسلتني".

فهذا اعتراف[4] منه بأنه نبي مبعوث من الله تعالى بما أوجبه من توحيده، وأنه سبحانه هو الواحد الخالق، لا خالق للخلق غيره، وبهذا جاء عيسى وجميع الأنبياء والمرسلين (صلوات الله عليهم أجمعين).

فإن قال قائل من النصارى: إن كان عيسى قد اعترف في هذا الموضع بأنه نبي مبعوث، فقد اعترف في موضع آخر أنه[5] الخالق الأزلي، قلنا في جوابه: إن هذا افتراء عليه، وهو برئ من ذلك، ومن كل من نسبه إليه، وأنتم غفلتم[6] عن شنيع التناقض الذي بين النصين في الموضعين، لأنه (عليه السلام) أقر بأنه[7] بشر مبعوث من الله تعالى وهو صحيح[8] فكيف يجوز عليه مناقضته بادعاء ما

---

(١) ب ، ق : "لأي شئ سميتني".
(٢) أ : "يدعي أنه شريكه".
(٣) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٧ عدد ١ : ٣.
(٤) ط : "اعترافه بأنه".
(٥) أ : "بأنه".
(٦) ط : "تعاميتم".
(٧) أ : "أنه".
(٨) أ ، ب : "وهذا هو الصحيح".

هو محال في حقه من كونه خالقاً أزلياً؟! بل هذا من اختلاق أوائل كفارهم، ثم قبلته جميع طوائفكم على ما فيه من الكفر الفظيع، والتناقض الشنيع.

وقال متى[(١)] في الفصل الرابع من إنجيله: "إن الشيطان دعا المسيح إلى أن يسجد له، وأراه ممالك الدنيا وزخرفها، وقال له: اسجد لي، نجعل[(٢)] لك هذا كله، فقال المسيح: إنه مكتوب على كل بشر أنه لا يعبد إلا الله تعالى ولا يسجد لشئ سواه".

فهذا منه إقرار بأنه برئ من الألوهية، ولو كان إلهاً لما اجترأ عليه الشيطان بمثل ذلك القول، وفي جوابه له اعتراف لله تعالى بأنه هو الإله[(٣)]، ولا يسجد أحد إلا له (تبارك وتعالى) وهذا تنزل مع النصارى واحتجاج عليهم بما أظهروه في أناجيلهم، وإلا فعيسى وغيره من الأنبياء (عليهم السلام) معصومون من الشيطان في الوسوسة الباطنة الخفية، فكيف يدعوهم للكفر الصريح بالسجود له من دون الله، وهذه مجاهرة جلية ولا شك أنها من اختلاق كتاب الأناجيل ورعونتهم في تجويز مثل هذا على المسيح (عليه السلام).

وقال يوحنا[(٤)] في آخر إنجيله: "إن عيسى قال للحواريين، إني ذاهب إلى

---

(١) إنجيل متى الإصحاح ٤ عدد ٨ : ١٠ ولفظه: "ثم أخذه أيضا إبليس إلى جبل عالٍ جدًّا، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له أعطيك هذه جميعاً إن خررت وسجدت لي، حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان؛ لأنه مكتوب للرب الملك تسجد وإياه وحده تعبد".

(٢) أ : "وأنا أجعل لك".

(٣) أ ، ق : "إله".

(٤) إنجيل يوحنا الإصحاح ٢٠ عدد ١٧ ولفظه في الترجمة الحديثة: "أني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم".

أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" يعني[1] بأبي وأبيكم المالك لي ولكم، وهو اصطلاح أهل[2] ذلك الزمان.

فإن قالوا: هو أبوه من هذه[3] اللفظة، قلنا: يلزم منه[4] أن يكون أباكم أيضا لأنه قال أبي وأبيكم، ثم صرح بعده بما ينفي[5] كل شبهة بقوله: "وإلهي وإلهكم" فلم يبق لنفسه في دعوى الألوهية شيئاً البتة[6].

وقال متى[7] في الفصل العاشر من إنجيله: "إن عيسى (عليه السلام) قال للحواريين:كل من قبلكم وآواكم، فقد قبلني وآواني، ومن قبلني وآواني فإنما قبل من أرسلني".

وقال يوحنا[8] في الفصل الخامس من إنجيله: "إن المسيح قال إني ما جئت لأعمل بمشيئتي بل بمشيئة الذي أرسلني".

وقال مرقس[9] في آخر إنجيله: "إن عيسى قال وهو على خشبة الصلب – بزعمهم – إلهي إلهي لم خذلتني" وذلك آخر ما تكلم به في الدنيا، وحاشاه أن

---

(١) أ : "ويعني بقوله ابي و أبيكم".
(٢) "أهل" من أ.
(٣) ط : "هذا اللفظ".
(٤) "منه" سقط أ.
(٥) ط : "تدفع".
(٦) "البتة" سقط أ.
(٧) إنجيل متى الإصحاح ١٠ عدد ٤٠.
(٨) إنجيل يوحنا الإصحاح ٥ عدد ٣ ولفظه: "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا، كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الأب الذي أرسلني".
(٩) إنجيل مرقس الإصحاح ١٥ عدد ٣٤ ولفظه: "وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا الوى الوى لما شبقتني، الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني".

يكون الله خذله، أو تمكن اليهود من صلبه، وإنما احتججنا على النصارى به، لأنهم[1] قد رضوه من نصوص أناجيلهم وهم مصدقون به، وفيه التصريح بأن عيسى قال: يا إلهي يا إلهي فأقر بأن له إلهاً يدعى[2] في الشدائد: وتبرأ من ادعاء الألوهية لنفسه، فلزم[3] تكذيب عقائد النصارى ضرورة لا محيد لهم عنها، ولكنهم صم بكم عمي فهم لا يعقلون.

وقال لوقا[4] في آخر إنجيله: "إن المسيح بعد ما قام من قبره دخل على[5] الحواريين وهم مجتمعون في غرفة قد أغلقوا بابها، فلما دخل عليهم ارتاعوا منه وظنوا أنه من أرواح الملائكة أو الجن، فلما علم المسيح ذلك منهم قال يا هؤلاء، جسوني واعلموا أن الأرواح الروحانية ليس لها لحم ولا عظم مثل ما تجدون في جسدي" فأقر بأنه مركب من لحم وعظم ومادة حيوانية وتبرأ من الإلهية.

وهذا النص كالذي[6] قبله مما يكذبهم في كون عيسى قتل ودفن وقام من قبره بعد الدفن، إنما[7] هو من اختلاق أوائل النصارى، ودعاويهم الباطلة العتية[8] في المحال والكفر والضلال، ولكن أبطلنا حجتهم في ادعاء[9] أن عيسى هو الله،

(١) ط : "لأنه رد نصوص أناجيلهم".
(٢) ب : "يدعوه".
(٣) ب : "فلزم منه تكذيب".
(٤) إنجيل لوقا الإصحاح ٢٤ عدد ٣٦ : ٣٩.
(٥) ط : "إلى".
(٦) أ ، ق : "والذي".
(٧) أ ، ب : "وإنما".
(٨) ب ، ق : "الفريقة".
(٩) ب : "ادعائهم".

وابن[1] الله (تعالى الله لا إله إلا هو) فمن قال إن المسيح هو مربوب الله[2] تعالى، فكان صبيًّا ينمو طولاً وعرضاً، ثم بلغ أشده وبعثه الله رسولاً فقد وافق قول المسيح وتلاميذه، ومن خالف هذا فقد خالف الحق واعتقد صريح الكفر، نعوذ بالله من ذلك.

ويلزمهم أشنع ما يكون عند جميع العقلاء، وهو: إن كان المسيح خالقاً أزليًّا كما يعتقدون مع كونه لحماً ودماً فقد جعلوا بعض الرب المعبود أزليًّا[3] خالقاً، وبعضه محدثاً مخلوقاً؛ لأن المسيح أقر أنه دم ولحم، بنص أناجيلهم، واللحم والدم يتولدان[4] من الأغذية والأشربة، وهي من أجزاء الدنيا، فيكون على قولهم خالق الدنيا كلها، هو جزء من أجزائها، وذلك[5] الجزء هو خالق لنفسه أيضاً؛ لأنه جزء من أجزاء[6] الدنيا التي هي مخلوقة له.

وهذا أشنع ما يكون من دعاوى البهتان، وأبعد ما يتصور في معقولية الإنسان، فمن اعتقده ودان به فقد لزمه ما بيناه واستحق الغضب والسخط[7] من الله، واتضح أنه من أهل الخذلان.

---

(١) أ : "أو ابنه تعالى" ق : "وابنه تعالى".
(٢) ق : "لله".
(٣) الأزلي: هو الذي لا أول له، والمحدث: هو الذي وجد بعد أن لم يكن.
(٤) ط ، ق : "يتوالدان".
(٥) أ : "ويكون هو خالق نفسه".
(٦) "أجزاء" من ب.
(٧) "والسخط" من ب ، ق.

ويلزم[1] أيضا من شناعة المحال أن يكون بعض الدنيا[2] وهو خالق الجميع، وبعض الشئ لا يوجد إلا بعد وجوده كله[3]، وما ليس بموجود ولا معقول فليس بشئ، فخالق الدنيا على قولهم معدوم غير موجود، مجهول[4] غير معقول، وأنا أظن أن صاحب هذه العقيدة التي مهدها لهم قصد هذا التعطيل بعينه؛ لأنه كان من متزندقة أهل التعطيل، فسخر من النصارى وألف لهم أنواعاً من الكفر والضلال مبنية على أشنع المحال، لما تحقق من غفلتهم وقبولهم لترهات[5] المذاهب والأقوال.

ويقال لهم: قد نطق الإنجيل الأول بأن المسيح قلم أظفاره وقص شعره، ونما جسده طولاً وعرضاً،فإن كان على قولهم خالقاً أزليّاً، وقد بانت[6] منه هذه الأجزاء من الشعر والأظفار، وانفصلت عن كله وصارت رميماً وتلاشت حتى لم يبق لها وجود، فالخالق الأزلي على هذا قد فسد بعضه وتلاشى، وبقي بعضه على حاله ومن فسد بعضه فالفساد واصل إلى كله، ومن كان له بعض وكل فهو محدود محتاج إلى ما يحله[7] ويحده، ومن كان بهذه الصفة فهو مفتقر وليس بغني، والإله الخالق الأزلي تبارك وتعالى شهدت براهين العقول ونصوص المنقول بأنه لا

(١) ب : "ويلزمهم".
(٢) ب : "الدنيا خالق جميع الدنيا".
(٣) ب ، ق : "بعضه بل كله".
(٤) أ ، ق : "ومجهول".
(٥) الترهات : الأباطيل.
(٦) اي : انفصلت.
(٧) أ ، ق : "ما يحمله".

يكون جسماً ولا جوهراً ولا عرضاً،وليس له كل يتجزأ ولا تتبعض ذاته القديمة[1] ولا يلحقها نقص ولا تغيير[2] ولا تحويل، وأنه الغني على الإطلاق، وجميع الخلق إليه فقراء في جميع أطوارهم، وكافة أحوالهم، وهو كما وصف نفسه الكريمة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[3].

ويقال لهم أيضا: هذا[4] المسيح الذي تعتقدون أنه الخالق الأزلي هل كان في بلد وزمان أم لا؟ ولا يقدرون على إنكار ذلك؛ لأن أناجيل[5] متى ولوقا صرحوا بأنه ولد في بيت[6] لحم الذي كان ينتسب إلى يودا[7] في زمن هردوس[8] (الملك)، وأنه قتل وصلب في أيام بيلاطوس[9] الملك وكل من كان في زمان،

---

(١) ط : "القديم".
(٢) ب : "تغير ولا تحول".
(٣) سورة الشورى : الآية ١١.
(٤) ب : "وهذا".
(٥) راجع إنجيل متى الإصحاح ٢ عدد ١، والإصحاح ٢٧ عدد ١ وراجع أيضا إنجيل لوقا الإصحاح ٢ عدد ١٥، والإصحاح ٢٣.
(٦) بيت لحم : بلدة (٦٨١٨ نسمة) بجنوب وسط فلسطين جنوبي بيت المقدس قيل إنها مسقط رأس السيد المسيح، وتعرف في الكتاب المقدس باسم (بيت داود) أحيانا يعتمد سكانها وأكثرهم مسيحيون على الحجاج في موارد دخلهم، بنى بها الإمبراطور قسطنطين (٣٣٠) كنيسة في الموضع الذي تذكر الروايات أنه شهد ميلاد المسيح، اسمها القديم (إفرات) من أهم آثارها مغارة اللبن، ومقبرة راشل وعيون سليمان. (الموسوعة العربية ٤٥٤).
(٧) أ : "الودا".
(٨) رودس : في الترجمة الحديثة "هيرودس".
(٩) بيلاطس : هو وال أقامته الحكومة الرومانية حاكما على اليهودية في سنة ٢٩م واستمر حكمه بضع سنين إلى ما بعد صعود المسيح (عليه السلام) كان قاسيا في حكمه لا يهتم إلا بمنافعه الشخصية، وفي عهده حاول اليهود قتل المسيح (عليه السلام) ولكن الله نجاه منهم، ورفعه إليه، وقد أقيل بيلاطس من منصبه لقسوته وظلمه ونفي إلى فرنسا ومات هناك، ويقول بعضهم إنه مات منتحرا.
(راجع قاموس الكتاب المقدس ٢٠٧-٢٠٨).

وفي مكان فلابد بأن يكون قبله[1]، والأمكنة محيطة به، ومن كان كذلك فهو مخلوق، وإذا ثبت أنه مخلوق بطلت عقيدتهم التي فيها أنه إله حق، وأنه خلق كل شئ.

ومعلوم بالقطع أن الزمان من الأشياء المخلوقة، والزمان كان قبل أن يوجد المسيح بلا شك في ذلك ولا امتراء. فكيف يجوز أن يكون الزمان موجودا[2] قبل خالقه. ويكون المكان محيطاً بالذي خلق الأماكن؟! هذا[3] أشنع ما يتخيل في الأذهان، ومن أقبح ما يكون في[4] المحال والبهتان، فكل من وُلد في زمان، وأحاط به المكان[5] فهو حيوان ابن[6] حيوان، والمسيح كان من أشرف أنواع الحيوان؛ لأنه إنسان من[7] إنسان تعالى الله عما يقول الكافرون علوا كبيرا.

وفي كل ما أوضحته هنا بحول الله وقوته يقتضي فساد شريعة النصارى، وإبطال عقيدتهم، وبيان لعدولي فيما اخترته لنفسي من دين الحق المبين، واتباع ملة أفضل النبيين (صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين) ومن الله نسأل كمال البر والتوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) الضمير يعود على المكان.
(٢) ب ، ق : "وجد".
(٣) أ : "هذا من أشنع".
(٤) ط : "من".
(٥) ب : "مكان".
(٦) ب ، ق : "من".
(٧) ط : "ابن".

الباب السادس

في اختلاف الأربعة

الذين كتبوا الأناجيل الأربعة وبيان كذبهم

اعلموا – رحمكم الله – أن الأربعة الذين كتبوا الأناجيل اختلفوا في أشياء كثيرة، وذلك دليل على كذبهم، فلو[1] كانوا على الحق ما اختلفوا في شيء. قال الله تعالى في كتابه[2] العزيز الذي أنزل على صفيه محمد ﷺ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ فجعل الاختلاف دليلاً على الكذب على الله؛ لأن كل ما هو من عنده تعالى لا تختلف معانيه ولا تضطرب مبانيه، وكل ما كذب الكاذبون عليه[3] لابد أن يفضحهم بوجود[4] الاختلاف والاضطراب فيما كذبوه ليميز الله الخبيث من الطيب، وهو الحكيم العليم.

فمن نصوص كذب هؤلاء الذين كتبوا الأناجيل ما قاله[5] يوحنا[6] في الفصل الثالث عشر من إنجيله: "إن عيسى (عليه السلام) قال للحواريين وهو يتعشى معهم في الليلة التي أخذه[7] فيها اليهود، الحق أقوله لكم إن واحدا منكم يخونني،

---

(١) ط : "ولو".
(٢) سورة النساء : بعض آية ٨٢.
(٣) الضمير يعود على الله سبحانه.
(٤) ط : "لوجود".
(٥) ط : "ما قال".
(٦) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٣ عدد ٢١ : ٢٦.
(٧) ط : "أخذته".

فقال له يوحنا يا سيدي من يكون ذلك، قال له عيسى: الذي نعطيه الخبز مصبغاً في المرق، ثم أعطاه ليهودا[1] اسكريوط[2]، وهو الذي خانه ودل اليهود عليه.

وقال مرقس[3] في الفصل الرابع عشر من إنجيله: "إن عيسى قال لهم إن الذي يصبغ خبزه معي في القصعة هو الذي يخونني".

وقال متى[4] في الفصل السادس والعشرين من إنجيله: "إن عيسى قال لهم: "إن الذي يصبغ خبزه في صحفتي هو الذي يخونني".

وقال لوقا[5] في الفصل الثاني والعشرين من إنجيله: "إن عيسى قال إن الذي يخونني هو معي في تلاميذي"[6].

وهذا[7] الاختلاف بيّن؛ لأن عيسى لم يتكرر منه هذا القول في مجالس حتى يزعمون أنه اختلفت عبارته فيها، وليس معنى قولهم متحدا، فيكون كل واحد من الأربعة عبّر عن قوله بعبارة من عنده.

وتخصيصه ليهوذا اسخريوط[8] بمناولته له الخبز مصبغاً في المرقة يقتضي تعيينه[9] وكشف أمره، وبقية ما نقلوه يدل على أنهم ما علموا[10] شأنه، وهذا

---

(١) في إنجيل يوحنا (٢١ : ٢٥) يهوذا.
(٢) ط : "أسقريوط" وفي إنجيل يوحنا "الاسخريوطي".
(٣) إنجيل مرقس الإصحاح ١٤ عدد ١٧ ، ٢٠.
(٤) إنجيل متى الإصحاح ٢٦ عدد ٢٣.
(٥) إنجيل لوقا الإصحاح ٢٢ عدد ٢١ ولفظه: "ولكن هوذا الذي يسلمني هو معي على المائدة".
(٦) ط : "التلاميذ".
(٧) ط : "وهو اختلاف بين".
(٨) في المخطوطة : "اسقريوط".
(٩) ب : "تعينه".
(١٠) أ ، ق : "علموا".

تناقض دل على الكذب من جميع الأربعة الذين كتبوا الأناجيل. وبالله التوفيق.

ومن ذلك ما قال متى[1] في الفصل العشرين من إنجيله: "إن عيسى لما خرج من بلد جريكو[2] "أريحا"[3] ناداه مكفوفان اثنان، وقالا له يابن داود ارحمنا، وأنه فتح أعينهما هنالك، فصارا[4] مبصرين".

ومن ذلك ما قال مرقس[5] في الفصل العاشر من إنجيله: "إنه لما خرج عيسى من البلد المذكور ناداه مكفوف واحد، وقال يا عيسى ارحمني ففتح عينه".

ومعلوم من الإنجيل أن عيسى لم يمر بتلك البلدة إلا مرة واحدة، فقد كذب متى في كونهما مكفوفين اثنين، وكذب مرقس في كونه مكفوفاً واحداً؛ لأن القصة واحدة، وفي إقرارهما بأن المكفوف نادى عيسى وقال له يا ابن داود نسبة إلى نسل[6] البشر من الناس ما يكذب عقائدهم فيه فإن المكفوف ما قال له يا إله، أو يا ولد الله، أو يا خالق المخلوقات، كما زعموا فيه، وإنما قال له: يا ابن داود، فنسبه إلى نبي من الأنبياء الكرام ليشير إلى أن نسب أمه مريم من هذا العنصر الطاهر، وهو كذلك، لأن مريم من ذرية داود بن إيشا[7] من سبط يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليه السلام).

---

(١) إنجيل متى الإصحاح ٢٠ عدد ٢٩ : ٣٤.
(٢) أ : "جنارز" ب : "جناور".
(٣) أريحا : مدينة (٢,٥٠٠) نسمة بالمملكة الأردنية شرقي القدس من أقدم مدن العالم تنخفض ح٢٦٠م عن سطح البحر، بها آثار رومانية وعربية، أهمها بقايا قصر هشام. استولى عليها الإنجليز ٢١ فبراير سنة ١٩١٨ في أثناء الحرب العالمية، وأعلن الأردن ضمها عقب حرب فلسطين. (الموسوعة العربية ١٧٢).
(٤) "فصارا مبصرين" من أ.
(٥) إنجيل مرقس الإصحاح ١٠ عدد ٤٦ : ٥٢.
(٦) ق : "نسب".
(٧) أ ، ب : "ايشار".

ومن ذلك ما قاله متى[1] في الفصل السابع والعشرين من إنجيله "أن عيسى المسيح صلب معه لصان فكانا يشتمانه في حالة الصلب".

وقال لوقا[2] في الفصل الثالث والعشرين من إنجيله أن أحد اللصين هو الذي استهزأ بعيسى، وقال له: إن كنت المسيح حقًّا فخلص نفسك وخلصنا، فزجره اللص الآخر، وقال له[3]: أما تخاف الله؟ وتعلم[4] أن الذي أصابه قد أصابك مثله، وأنت وأنا نستحق ما فعل بنا، وهو لا يستحق شيئاً، ثم قال للمسيح يا سيدي اذكرني في يوم مجيئك من ملكوتك، فقال له المسيح أقول لك الحق أنك تكون معي ذلك اليوم في جنة الفردوس".

وهذا اختلاف[5] بين؛ لأن متى أوجب على اللصين النار، لأنهما شتما المسيح، ولوقا أوجب لأحدهما الجنة، وقد كذبا[6] في أصل قضية صلب المسيح وكفروا بذلك، ويوحنا[7] الذي حضر صلب المصلوبين، قال في إنجيله فصل تاسع عشر: "إن سارقين صلبا معه أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، ولم يذكر أنهما قالا له شيئا البتة، وهذا تمام الاختلاف والاختلال[8].

---

(١) إنجيل متى الإصحاح ٢٧ عدد ٣٩ : ٤٤.
(٢) إنجيل لوقا الإصحاح ٢٣ عدد ٣٩ : ٤٤.
(٣) "له" سقط أ.
(٤) في ط : "وما تعلم".
(٥) ط : "الخلاف".
(٦) أ ، ب ط : "كذب".
(٧) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٩ عدد ١٨.
(٨) ط : "والإضلال".

ومن ذلك أن متى[1] قال في الفصل الحادي والعشرين من إنجيله: "إن المسيح ركب دابة وهو سائر لبيت المقدس مثل ما قاله فيه بعض الأنبياء ترون سلطانكم جاءكم على دابة".

وقال مرقس[2] في الفصل الحادي عشر من إنجيله: "إن المسيح كان راكباً على جُحَيش[3] ابن الدابة" ولم يذكر أنه ركب الدابة أصلاً.

وقال لوقا[4] في الفصل التاسع عشر من إنجيله: إنه كان راكباً على الدابة" مثل ما قال متى[5].

---

(١) إنجيل متى الإصحاح ٣١ عدد ١ : ٥ ولفظه: "ولما قربوا من أورشليم وجاءوا إلى بيت فاجي عند جبل زيتون حينئذ أرسل يسوع تلميذين قائلا لهما: اذهبا إلى القرية التي أمامكما فللوقت تجدان أتانا مربوطة وجحشا معها فحلاهما وأتياني بهما وإن قال لكما أحد شيئا فقولا الرب محتاج إليهما. فللوقت يرسلهما فكان هذا كله لكي يتم، ما قيل بالنبي القائل. قولوا لابنة صهيون هوذا ملك يأتيك وديعا راكبا على أتان وجحش ابن أتان" والأتان: الأنثى من الحمير، ولا أدري كيف يستطيع شخص أن يركب أتانا وجحشا ويسير بهما؟..

(٢) إنجيل مرقس الإصحاح ١١ عدد ١ : ٧ ولفظه: "ولما قربوا من أورشليم إلى بيت فاجي وبيت عنيا عند جبل الزيتون أرسل اثنين من تلاميذه، وقال لهما اذهبا إلى القرية التي أمامكما فللوقت وأنتما داخلان إليها تجدان جحشا مربوطا لم يجلس عليه أحد من الناس، فحلاه وأتيا به، وإن قال لكما أحد لماذا تفعلان هذا فقولا الرب محتاج إليه، فللوقت يرسله إلى هنا، فمضيا ووجدا الجحش مربوطا عند الباب خارجا على الطريق فحلاه، فقال لهما قوم من القيام هناك ماذا تفعلان تحلان الجحش،. فقالا لهم كما أوصى يسوع. فتركوهما، فأتيا بالجحش إلى يسوع وألقيا عليه ثيابهما فجلس عليه".

(٣) ط : "جحش ابن دابة".

(٤) إنجيل لوقا الإصحاح ١٩ عدد ٣٠ : ٣٦.

(٥) ط : "ماركوس".

وقال يوحنا[1] في الفصل الثاني عشر من إنجيله: "إنه كان راكباً على جحيش[2] ابن الدابة"مثل ما قال مرقس.

فانظروا – رحمكم الله – إلى اختلافهم البارد، وكذبهم الظاهر في قولهم إنه ركب الجحيش، وصغّره لصغر سنه، وإذا[3] كان كذلك كيف يركبه الإنسان؟؟

ومن ذلك – أيضا – ما قال متى[4] في الفصل العشرين من إنجيله: "إن مريم زوجة زَبداي جاءت إلى المسيح، وقالت له إن ولديّ الاثنين يجلسان غداً معك في ملكوتك، أحدهما عن يمينك، والآخر عن يسارك".

وقال مرقس[5] في الفصل العاشر من إنجيله: "إن ولدي خالة عيسى وهي مريم امرأة زَبداي قالا له يا معلم نحب منك أن تنعم علينا بما نطلبك فيه، فقال المسيح أي شئ تريدان، قالا له أنعم علينا بأن يجلس أحدنا عن يمينك والآخر عن يسارك في ملكوتك".

وأما لوقا ويوحنا فما ذكرا في إنجيلهما شيئا من هذه القصة عن الولدين ولا

---

(١) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٢ عدد ١٤ : ١٥ ولفظه: "ووجد يسوع جحشا فجلس عليه كما هو مكتوب لا تخافي يا ابنة صهيون. هوذا ملكك يأتي جالسا على جحش أتان".

(٢) ط : "الجحش ابن دابة".

(٣) أ ، ق : "وما كان كذلك كيف".

(٤) إنجيل متى الإصحاح ٢٠ عدد ٢٠ : ٢١ ولفظه: "حينئذ تقدمت إليه أم ابني زبدى مع ابنيها وسجدت وطلبت منه شيئا، فقال لها ماذا تريدين؟ قالت له قل أن يجلس ابناي هذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوتك".

(٥) إنجيل مرقس الإصحاح ١٠ عدد ٣٥ : ٣٧ ولفظه: "وتقدم إليه يعقوب ويوحنا ابنا زبدى قائلين يا معلم نريد أن تفعل لنا كل ما طلبنا، فقال لهما ماذا تريدان أن أفعل لكما. فقالا له أعطنا أن نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك في مجدك".

عن[1] أمها مع أن يوحنا كان ملازما للمسيح، ولم يفارقه حتى رفع (عليه السلام) وهذا من الاختلاف الركيك، فإن متى قال الأم طلبت ذلك، ومرقس قال الولدان هما اللذان طلبا، وصاحباه الآخران خالفاهما بعدم ذكر هذه القصة أصلاً.

ومن اختلافهم – أيضا – ما قاله متى[2] في الفصل التاسع من إنجيله أن تلاميذ يوحنا[3] قالوا للمسيح لأي شئ نصوم نحن ويصوم الفريزيون وتلاميذك لا يصومون؟

وقال مرقس[4] في الفصل الثاني من إنجيله: "إن طائفة الكتاب والفريزيين قالوا للمسيح لأي شئ يصوم تلاميذ يوحنا[5] وتلاميذك يأكلون ويشربون ولا يصومون".

هذا اختلاف ظاهر،لأن النص الأول فيه الفريزيون يصومون وأن السائلين والصائمين هم تلاميذ يوحنا، والنص الثاني فيه أن طائفة الكتاب والفريزيين هم السائلون بزيادة يحيى بن زكريا، والكتاب معهم، ولم يذكروا أنفسهم في صيام ولا إفطار.

---

(١) ب : "من".

(٢) إنجيل متى الإصحاح ٩ عدد ١٤ ولفظه: "حينئذ أتى إليه تلاميذ يوحنا قائلين لماذا نصوم نحن والفريسيون كثيرا وأما تلاميذك لا يصومون".

(٣) ط : "يحيى".

(٤) إنجيل مرقس الإصحاح ٢ عدد ١١ ولفظه: "وكان تلاميذ يوحنا والفريسيين يصومون. فجاءوا، وقالوا له لماذا يصوم تلاميذ يوحنا والفريسيين وأما تلاميذك فلا يصومون".

(٥) ط : "يحيى".

ومن ذلك ما قال متى[1] في فصل ثالث من إنجيله: "أن يوحنا[2] يأكل الجراد والعسل فخالف قوله في الفصل[3] الحادي عشر من إنجيله أن عيسى (عليه السلام) قال لليهود جاءكم يوحنا[4] لا يأكل ولا يشرب فقلتم إنه مجنون، وجاءكم[5] ابن فيليوس – معناه ابن الإنسان يعني نفسه – يأكل ويشرب فقلتم إنسان كبير الجوف يأكل ويشرب الخمر".

وهذا اختلاف ظاهر في كلام مَتَّى، لأنه نفى عن يوحنا الأكل والشرب في أحد نصيه وأثبت له أكل الجراد والعسل في النص الآخر، وغفل النصارى عن صريح الحجة عليهم في قول المسيح عن نفسه أنه ابن إنسان وأنه يأكل ويشرب الماء والخمر، وهذا إقرار منه بأنه إنسان ابن إنسان محتاج إلى مدد لغذاء، وقوام بنية جسده بالطعام والشراب، وهذا يكذب دعواهم فيه أنه إله وابن إله، فتعالى الله رب العالمين، علواً كبيراً عن كفرهم.

ومن اختلافهم، وصريح كذبهم على الله ورسوله ما قال يوحنا[6] في الفصل الخامس من إنجيله: "إن المسيح قال لليهود: إن أبي الذي أرسلني هو يشهد لي، ولا سمع قط أحد صوته ولا رآه"[7] وهذا قريب إلى الصحة من قول المسيح،

---

(١) إنجيل متى الإصحاح ٣ عدد ٤ ولفظه: "ويوحنا هذا كان لباسه من وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد وكان طعامه جرادا وعسلا بريا".
(٢) ط : "يحيى".
(٣) إنجيل متى الإصحاح ١١ عدد ١٨ ولفظه: "لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب".
(٤) ط : "يحيى".
(٥) ط : "وجاء".
(٦) ط : "يحيى".
(٧) إنجيل متى الإصحاح ٥ عدد ٣٧ ولفظه: "والأب نفسه الذي أرسلني يشهد لي، لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته".

ثم خالفه متى في اللفظ والمعنى بالكفر الصريح، وقال في الفصل السابع[1] عشر من إنجيله: "إن المسيح طلع على جبل طابور ومعه بثرو[2] وحافصو ويوحنا الحواريون، فلما استقروا فوق الجبل إذ بوجه[3] المسيح يضئ كأنه قمر أو شمس فما قدروا ينظرون إليه وسمعوا صوت الآب من السماء يقول هذا ولدي الذي اصطفيته لنفسي اسمعوا منه وآمنوا به" وهكذا قال مرقس[4] في الفصل التاسع من إنجيله.

وقال يوحنا[5] في الفصل الرابع عشر من إنجيله: "إن المسيح قال للحواريين أنتم رأيتم أبي وعرفتموه، فقال له فليبو الحواري: يا سيدي كيف رأينا الآب فقال له المسيح: يا فليبو[6] لي معكم كثير وعرفتموني يا فليبو من رآني فقد رأى أبي".

وهذا من الاختلاف الظاهر، والكفر الفاحش، أما الاختلاف فبين ما قاله يوحنا عن المسيح إن الذي أرسله يشهد له بصحة نبوته ورسالته، ولا سمع أحد صوته ولا رآه، وبين ما قال يوحنا المذكور إن المسيح قال للحواريين أنتم رأيتم أبي وعرفتموه، فمن رآني فقد رأى أبي،وكذلك قصة جبل طابور، وأن الثلاثة الذين كانوا مع عيسى سمعوا كلام الآب يعني رب العباد، تبارك وتعالى عن قولهم، وأنه قال لهم عن المسيح، هذا ولدي الذي اصطفيته لنفسي، وحاشا لله أن يسمع

(١) إنجيل متى الإصحاح ١٧ عدد ١ : ٥.
(٢) في إنجيل متى: "بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه".
(٣) أ ، ب ، ق : "وجه".
(٤) إنجيل مرقس الإصحاح ٩ عدد ٢ : ٧.
(٥) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٤ عدد ٧ : ٩.
(٦) في الترجمة الحديثة: "فيلبس".

مخلوقاته كلامه (تقدس عن الصاحبة والولد) فكيف يشهد[1] لعيسى أنه ولد الله، بل هذا من بهتانهم وجرأتهم على الله في الكذب عليه وعلى رسوله عيسى، ومقصودهم بجمع هذه الأكاذيب ترويج عقائدهم في ألوهية المسيح، وكونه ولد الله (تعالى الله عن ذلك) ثم أوقعهم الله بعظيم قدرته وباهر حكمته في التناقض وتخاذل النقل، وتدافع اللفظ والمعنى من[2] حيث يشعرون أو لا يشعرون.

---

(١) أ : "يشهدون".
(٢) "من" من أ.

مخلوقاته كلامه (تقدس عن الصاحبة والولد) فكيف يشهد[1] لعيسى أنه ولد الله، بل هذا من بهتانهم وجرأتهم على الله في الكذب عليه وعلى رسوله عيسى، ومقصودهم بجمع هذه الأكاذيب ترويج عقائدهم في ألوهية المسيح، وكونه ولد الله (تعالى الله عن ذلك) ثم أوقعهم الله بعظيم قدرته وباهر حكمته في التناقض وتخاذل النقل، وتدافع اللفظ والمعنى من[2] حيث يشعرون أو لا يشعرون.

---

(١) أ : "يشهدون".
(٢) "من" من أ.

الباب السابع

فيما نسبوا إلى عيسى من الكذب

وأن عيسى قد برأه[1] الله من جميع أقوالهم واعتقادهم

فمن ذلك ما قاله[2] لوقا[3] في الفصل الثاني والعشرين من إنجيله: "إن عيسى قال للحواريين إن الشيطان أراد فساد يقينكم، ثم قال لبترو منهم أنا أرغب من أبي ألا يجعل للشيطان سبيلاً على فساد يقينك ثم إن بترو هذا كفر بعيسى وارتد عن دينه بعد أيام قليلة من إخبار عيسى له بأن الشيطان لا سبيل له على فساد[4] يقينه،وأن تلاميذ عيسى لم يكفر أحد منهم إلا بترو[5] هذا".

فانظروا – رحمكم الله – إلى تناقض هؤلاء المخاذيل فيما ينقلونه عن رجل اعتقدوا أنه نبي معصوم، ومع ذلك أنه[6] إله وابن إله، فكيف يخبر عن شخص واحد من تلاميذه أنه سأل الله له أن لا يجعل للشيطان سبيلاً على فساد يقينه، ثم يقولون إن التلميذ الذي خصه بهذا الدعاء هو الذي كفر وارتد وأفسد الشيطان دينه ويقينه من دون جميع التلاميذ، وهل يكاد أحد يجهل هذا

---

(١) ط : "تبرأ".
(٢) ط : "ما قال".
(٣) إنجيل لوقا الإصحاح ٢٢ عدد ٣١ : ٣٤.
(٤) أ : "أفساد".
(٥) في إنجيل يوحنا "بطرس".
(٦) ط : "هو".

التناقض مع الكفر في تجويز الكذب على الأنبياء، ووقوع الخلف في أخبارهم، وهذا كله من صريح آكاذيبهم على عيسى (عليه السلام) والله[1] ما قال شيئاً من هذه الأضاليل. فنعوذ بالله من الخذلان.

ومن ذلك ما قاله[2] يوحنا[3] في الفصل الخامس من إنجيله: "إن المسيح قال لليهود حقًّا أقول لكم إن الابن لا يقدر أن يعمل أو يصنع إلا ما رأى أباه يصنع".

ومن المعلوم بالقطع أن المسيح آكل وشرب[4]، وما رأى أباه يصنع شيئاً من ذلك، لأنه قدوس صمد لا إله إلا هو، وعيسى لم يقل من هذا شيئاً، ولكن كذب عليه اللعين يوحنا وحده، فإن أصحابه الثلاثة لم يقولوا شيئاً منه البتة ومن ذلك أيضا ما قاله يوحنا في الفصل السابع عشر من إنجيله[5]: "إن عيسى (عليه السلام) تضرع إلى الله قبل موته وقال: يا إلهي أنا أعلم أنك دائما تستجيب لي، فأسألك أن تنجي تلاميذي من كل شئ في الدنيا والآخرة، ومعلوم بتواتر النقل عن جميع علماء النصارى أن تلاميذ عيسى أكثرهم مات مقتولاً بالسيف، ثم صلب بعضهم وسلخ جلد[6] بعضهم، وعذب بأنواع العذاب، وحاشا لله أن يسأل الله

---

(١) ق : "ووالله".
(٢) ط : "ما قال".
(٣) إنجيل يوحنا الإصحاح ٥ عدد ١٩ ولفظه: "الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئا إلا ما ينظر الأب يعمل".
(٤) لعله يشير إلى ما ورد في إنجيل يوحنا الإصحاح ١٧ عدد ١١.
(٥) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٧ عدد ٩ : ١٥.
(٦) "جلد" من أ.

تعالى رسوله عيسى أن ينجي تلاميذه من كل شئ في الدنيا ثم تنالهم هذه المثلات[1] وقبائح الموتات، فيوحنا هو الذي كذب على المسيح، وأصحابه[2] الثلاثة لم يقولوا شيئاً منه البتة.

ومن ذلك ما قال يوحنا[3] في الفصل الخامس عشر من إنجيله: "إن عيسى (عليه السلام) قال: لولا أني أتيت من المعجزات بما لم يؤت به أحد من الأنبياء قبلي، ما كانت لهم ذنوب بقلة إيمانهم بي – يعني اليهود[4] – وحاشا عيسى أن يقول هذا، فإنه يعلم بالضرورة أن موسى (عليه السلام) أتى بمعجزات كثيرة عظيمة، وكذلك إلياس واليسع (عليهما السلام) كانا قبل عيسى وكلاهما أحيا الموتى كعيسى[5]، واليسع أبرأ الأبرص كما أبرأ عيسى (عليه السلام) فكيف يزعمون أن عيسى قال: أوتيت من المعجزات ما لم يأت به أحد من قبلي، بل كذب يوحنا في هذا، وأصحابه الثلاثة لم ينقلوا شيئا من ذلك.

وقال مرقس[6] في الفصل العاشر من إنجيله: "إن المسيح قال من ترك لوجهي داراً أو جناناً أو غير ذلك، فإنه يأخذ قدر ما ترك مائة مرة في الدنيا وفي الآخرة وله الجنة".

---

(١) المثلات: جمع مثلة، وهي العقوبة.

(٢) ب : "وأما أصحابه".

(٣) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٥ عدد ٢٤ ولفظه: "لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالا لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطية".

(٤) "يعني اليهود" من أ.

(٥) "كعيسى" من ب.

(٦) إنجيل مرقس الإصحاح ١٠ عدد ٢٩، ٣٠.

وقال متى[١] في الفصل التاسع عشر من إنجيله: "إنه يأخذ قدر ما ترك مائة مرة وله الجنة" ولم يذكر الدنيا.

وقال لوقا[٢] في الفصل الثامن عشر من إنجيله: "إنه يأخذ أزيد مما ترك ولم يذكر الجنة ولا الدنيا، وأما يوحنا فما ذكر شيئاً من هذا، وهذا كذب ظاهر على عيسى، فإن خلقاً كثيراً تركوا دياراً وجناناً ومتجراً وغير ذلك على يد عيسى، ولا أخذوا منه قدر ما تركوا مائة[٣] مرة في الدنيا ولا قريبا من ذلك، فعيسى لم يقل هذا، ولكن كذبوا عليه.

ومن ذلك – أيضاً – ما قال متى[٤] في الفصل التاسع عشر من إنجيله: "إن الفريزيين قالوا للمسيح، هل يحل للإنسان أن يطلق امرأته على أقل مسألة، فقال لهم أما قرأتم في التوراة أن الذي خلق الذكر والأنثى قال من أجل المرأة يترك الإنسان أباه وأمه ويجتمع بزوجته، ويكونان لحماً[٥] واحداً".

وهذا كذب على عيسى، وعلى التوراة، فإن هذا الكلام ما قاله تبارك وتعالى، ولكن حكته الكتب النبوية عن آدم (عليه السلام)؛ لأنه حين نام خلق الله تعالى زوجه حواء من ضلعه فلما استيقظ ورآها قال من أجل هذه يترك الإنسان أباه وأمه ويكون مع زوجته لحمة واحدة، وحاشا عيسى أن ينسب هذا إلى التوراة والإنجيل[٦] وهو كان يحفظ التوراة والإنجيل فما يقول إلا ما قال الله

---

(١) إنجيل متى الإصحاح ١٩ عدد ٢٩.
(٢) إنجيل لوقا الإصحاح ١٨ عدد ٢٨ : ٣٠.
(٣) "مائة مرة" سقط أ.
(٤) إنجيل متى الإصحاح ١٩ عدد ٣ : ٥.
(٥) في إنجيل متى: "جسدا".
(٦) "والإنجيل" سقط ب.

تعالى فيهما، ولكن كذب عليه متى في هذا القول وأصحابه الثلاثة لم يقولوه.

ومن ذلك ما قال يوحنا[1] في الفصل الثالث من إنجيله: "إن عيسى (عليه السلام) قال ما يصعد إلى السماء إلا ما هبط منها" وهذا باطل وكذب على عيسى (عليه السلام) فإن في التوراة أن إدريس وإلياس (عليهما السلام) صعدا إلى السماء ولم يكونا هبطا منها بل في الأرض خلقا وعاشا إلى وقت صعودهما، وفي الإنجيل أن عيسى (عليه السلام) صعد إلى السماء ولم يكن هبط منها، ونبينا محمد ﷺ قد صعد إلى السماء ليلة معراجه، وما كان هبط منها، فتبين كذب يوحنا في هذا على عيسى، وأصحابه الثلاثة لم ينقلوا ذلك.

فإن قال قائل من النصارى: إن عيسى قال هذا وما عنى به إلا الأرواح قيل له: هذا مخالف للتوراة والإنجيل، فإن فيهما أن الأنبياء الذين صعدوا إلى السماء بأجسادهم صعدوا مع أرواحهم مثل ما صعد نبينا محمدﷺ، فإن قالوا عيسى قال ذلك وعنى به أرواح البشر التي ماتت أجسادهم فعند الموت يصعد الملائكة بها إلى السماء قلنا هذا احتمال يسقط معه الاستدلال، والأصل في الألفاظ العموم والحقيقة حتى يثبت خلافها، والكفار لا تصعد أرواحهم إلى السماء، بل تذهب إلى سجين[2]، فبطل ما قالوا وتبين كذبهم على عيسى (عليه السلام).

ومن ذلك ماقال متى[3] في الفصل الحادي والعشرين من إنجيله: "إن عيسى

(١) إنجيل يوحنا الإصحاح ٣ عدد ١٣ ولفظه: "وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء".
(٢) سجين : واد في جهنم، نعوذ بالله منها (لسان العرب ٣/١٩٤٧).
(٣) إنجيل متى الإصحاح ٢١ عدد ١٨.

(عليه السلام) أخذه الجوع وهو يمشي إلى الحواريين فرأى شجرة تين قرب محجة الطريق فقصدها ليأكل منها فما وجد فيها ثمرة، فدعى عليها فيبست من ساعتها".

ونقل مرقس[1] في الفصل الحادي عشر من إنجيله هذا الخبر، وزاد فيه أنه لم يكن فصل التين.

فانظروا – رحمكم الله – كيف نسبوا إلى نبي الله عيسى أنه يلتمس التين من[2] أشجار الناس في غير فصله، وهذا لا يفعله الصبيان والمجانين، ثم قالوا إنه دعا عليها فيبست وليس لها ذنب تستحق به العقوبة[3]، ولا تخلو أن تكون ملكاً لمالك أو مباحة لكل من مر بها، فإن كانت ملكاً لمالك، فإن عيسى على زهده وورعه لا يقدم على الأكل منها بغير إذن مالكها؛ لأن الشرائع متفقة على منع ذلك، وإن كانت مباحةً للناس فلا يدعو عليها باليبس حتى تنقطع منفعة الناس منها، لأنه هو[4] وجميع الأنبياء (عليهم السلام) جبلهم الله على منفعة الخلق ومصلحتهم لا على عكس ذلك، فتبين كذب متى ومرقس فيما نسبا إليه من هذه القصة، وبالله التوفيق.

---

(١) إنجيل مرقس الإصحاح ١١ عدد ١٢ : ١٣.

(٢) أ ، ق : "في".

(٣) ق : "تلك العقوبة".

(٤) "هو" : سقط ق.

الباب الثامن

فيما يعيبه النصارى على المسلمين

أعزهم الله

فمن ذلك ما قالوا[1] إن الصالحين من المسلمين يتزوجون بخلاف أهل الرهبانية[2] من النصارى، فيقال لهم: إنكم متفقون في دينكم على أن داود (عليه السلام) كان نبيًا ملكاً، ومنزلة النبي أعلى من مرتبة الولي بالإجماع منا ومنكم، وفي التوراة: أن داود[3] (عليه السلام) تزوج مائة امرأة، وولد له منهن أزيد من خمسين ولداً ذكوراً وإناثاً، وسليمان (عليه السلام) تزوج ألف امرأة، كما ثبت في التوراة، وأنتم تعتقدون أن التوراة حق نزل من عند الله، وكذلك جميع الأنبياء (عليهم السلام) تزوجوا وولد لهم الأولاد إلا عيسى ويحيى بن زكريا (عليهما السلام) وفي التوراة: يحل للرجل أن يتزوج من النساء ما يقدر عليهن[4] من

---

(١) "ما قالوا" من ق.

(٢) الرهبانية: أصلها من الرهبة: الخوف، قال ابن الأثير: كانوا يترهبون بالتخلي من أشغال الدنيا، وترك ملاذها، والزهد فيها، والعزلة عن أهلها، وتعهد مشاقها، حتى إن منهم من كان يخصي نفسه، ويضع السلسلة في عنقه وغير ذلك من أنواع التعذيب. (لسان العرب ١٧٤٩/٣).

(٣) هو نبي الله داود بن يسي بن عوبيد، ورد ذكره في القرآن الكريم في ستة عشر موضعا، أتاه الله النبوة والملك في بني إسرائيل وقد ذكرت قصته في القرآن مرات كثيرة، وقد طالت مدته في الملك وله مواقف أيام ملكه وقبله (راجع ترجمته في قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ٣٦١).

(٤) ط ، ق : "عليه".

نفقتهن، وأنتم يا معشر النصارى لم تأذنوا[1] في التزويج بما شرعه الله في التوراة وفي[2] الإنجيل، وإنما تمسكتم في ذلك بقول بولس الذي زعم أوائلكم أنه بمنزلة نبي، وبولس هو الذي أمركم أن لا يتزوج أحد غير امرأة واحدة، فإذا ماتت عوضها بأخرى وأمركم أن يتزوج القسيس امرأة واحدة بكراً لا ثيباً فإذا ماتت حرم عليه التزويج[3]، وقد تبين أن دينكم في التزويج خالفتم فيه الأنبياء، وخالفتم بولس في تزويج القسس الأبكار، فحرمتم على جميع القسيسين التزويج، وصار سفهاؤكم وجهالكم يعتمدون في ذلك على هذا أو[4] يعيبون على أولياء المسلمين ما يفعلون في التزويج.

فأما[5] علماؤكم فيعلمون أن ذلك حلال منصوص في الكتب السماوية وأهل الإسلام منَّ الله عليهم بالحنيفية السمحة التي لا مشقة عليهم فيها، وقال لهم نبينا محمد ﷺ: "تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة"[6] فهم بالتناكح

---

(١) أ ، ق : "تدينوا".

(٢) أ ، ق : "ولا في الإنجيل".

(٣) ق : "لأبيها".

(٤) ق : "ويعيبون".

(٥) ب : "وأما".

(٦) رواه عبد الرزاق والبيهقي عن سعيد بن أبي هلال مرسلا بلفظ: "تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة"، قال في المقاصد جاء معناه عن جماعة من الصحابة، فأخرج أبو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم عن معقل بن يسار مرفوعا: "تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة" ولأحمد وسعيد بن منصور والطبراني في الأوسط والبيهقي وآخرين عن أنس قال: "كان رسول الله ﷺ يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهيا شديداً، ويقول تزوجوا الولود الودود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة" وصححه ابن حبان والحاكم، ولابن ماجه عن أبي هريرة رفعه: "انكحوا فإني مكاثر بكم" (كشف الخفاء ١/٣٨٠).

والتناسل مثابون لأجل امتثالهم في ذلك أمر نبيهم ﷺ.

ومما تعيبه[1] النصارى على أهل الإسلام الاختتان، فيقال لهم: إن عندكم في الإنجيل أن عيسى (عليه السلام) كان مختوناً، ويوم ختانه عندكم من أكبر الأعياد، فكيف تنكرون على المسلمين ما تعظمونه من أمر نبيكم؟! ثم إنكم تعتقدون أن إبراهيم (عليه السلام) وجميع الأنبياء كانوا مختونين، وإن الله (تبارك وتعالى) أمرهم بالختان كما هو عندكم في التوراة، فالعيب عندكم، والإثم عليكم؛ لأنكم تركتم سنة نبيكم في الختان، وخالفتم فيه جميع الأنبياء، ثم صرتم تعيبونه، وكل من عاب أفعال الأنبياء فيما شرع الله لهم، فقد كفر بالله وبأنبيائه.

وما يعيبونه[2] – أيضا – على المسلمين اعتقادهم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون[3]، فيقال لهم: كيف تنكرون ذلك، وقد قال متى[4] في الفصل السادس والعشرين من إنجيله: "إن عيسى (عليه السلام) قال للحواريين وهو يتعشى في الليلة التي أخذه وقتله فيها اليهود على زعمهم، إني ما بقيت أشرب شراباً بعد هذا

---

(١) ط : "يعيبونه".

(٢) راجع هذه الشبهة والرد عليها في كتاب: "مقامع هامات الصلبان ومراتع روضات الإيمان" لأبي عبيدة الخزرجي ص٣٤٠ الذي حققه الدكتور محمد شامة ونشره تحت عنوان: "بين الإسلام والمسيحية".

(٣) يشير القرآن إلى ذلك بقوله: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ (يس ٥٥-٥٧) ويقول أيضا: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ (محمد ١٥).

(٤) إنجيل متى الإصحاح ٢٦ عدد ٢٩.

إلا في الجنة، وهكذا قال مرقس[1] في الفصل الرابع عشر من إنجيله.

وقال لوقا[2] في الفصل الثاني والعشرين من إنجيله: "إن عيسى (عليه السلام) قال للحواريين أنتم تأكلون وتشربون على طبلتي[3] في الجنة" وعلماء النصارى يعلمون أن آدم (عليه السلام) أكل من الشجرة المنهي عنها في الجنة هو وامرأته حواء، وكان ذلك سبب هبوطهما إلى الأرض[4]، وهذا منصوص في التوراة والإنجيل، فكيف ينكر جهالهم أن لا يكون في الجنة الأكل والشرب، وهم معولون[5] في هذا على أن كل من آكل وشرب لابد له من فضلة[6] بول وغائط، والجنة مطهرة من ذلك، وما علموا أن نبينا محمد ﷺ الحكيم الأكبر أخبرنا بأن ما يأكله أهل الجنة ويشربونه يخرج عليهم رشح أي عرق رائحته كرائحة المسك، وأنهم لا يبصقون فيها ولا يمتخطون، ولا يبولون، ولا يتغوطون[7]، وأجمعت الكتب والرسل على أن في الجنة من أنواع الفواكه ولحوم الطير وغيره ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين[8]، وكل من دخلها وحرم من هذه اللذات فيها فهو معذب نكد

---

(١) إنجيل مرقس الإصحاح ١٤ عدد ٢٥.

(٢) إنجيل لوقا الإصحاح ٢٢ عدد ٣٠.

(٣) ط : "طابلة".

(٤) راجع سفر التكوين الإصحاح ٣.

(٥) ط : "مؤولون".

(٦) أ ، ق : "فضل".

(٧) قال أبو هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: "إن أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة، ورشحهم المسك لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية" متفق عليه.

(٨) يشير إلى قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ

العيش، نعوذ بالله من اعتقاد ذلك؛ لأن اعتقاد ذلك يؤدي إلى ما تقوله الملاحدة من أن نعيم الجنة بعد الموت، إنما هو بالأرواح لا بالأجساد؛ لأنهم ينكرون بعثة الأجساد، والنصارى وإن لم يصرحوا بهذا فقد لزمهم القول بأن الأرواح هي التي تتنعم في الجنة، وأما الأجساد فلا نعيم لها إلا بالغذاء الذي جعل الله قوامها به، وهذا خلاف المعقول والمنقول.

ومما ينكرونه – أيضا – على المسلمين، قولهم في الجنة قصور ويواقيت وغير ذلك، فيقال لهم: إن عندكم في الكتاب المسمى "بنور القديسين" في قصة جوان الإنجيلي أنه مر ذات يوم بشابين عليهما ثياب الحرير ومعهما خدام وموكب[1] كبير فذكرهما بالنار، وهددّهما حتى تركا ما كانا عليه، وتبعا جوان المذكور وتصدقا بمالهما على خدمهما، فلما كان بعد مدة مرّ خدامهما[2] عليهما في زي عظيم، ومواكب[3] وخدام فحزنا وندما على ما فاتهما من نعيم الدنيا، واشتد ذلك عليهما، ففهم ذلك جوان، وقال لهما ندمتما وحزنتما على ما فاتكما من نعيم الدنيا فقالا: نعم ما وجدنا عن ذلك صبراً، فقال لهما اذهبا فأتياني بأحجار[4] من الوادي فأتيا بها فجعلها تحت ثوبه، ثم أخرجها وهي كلها يواقيت نفيسة فقال اذهبا إلى السوق فبيعاها ثم اشتريا بثمنها أكثر مما كان لكما، ولكن لا نصيب لكما في الجنة، فإنكما بعتما نصيبكما

وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الواقعة ١٢-٢٤)

(١) ط : "ومركب".
(٢) ق : "خدامهما".
(٣) ق : "وموكب".
(٤) ق : "بحجارة".

منها بهذا العاجل الفاني، فبينما هم في ذلك إذا بقوم أتوا بميت ورغبوا من جوان المذكور أن يحييه فقال: قم يا هذا الميت بإذن الله تعالى، فقام الميت فقال له جوان أخبر هذين الرجلين عما فاتهما من نعيم الجنة، فقال لهما ذلك الذي كان ميتاً قد كانت لكما في الجنة قصور مبنية بالياقوت على كل لون، طول كل قصر منها كذا وكذا، فلما سمع الشابان هذا تابا وتركا كل شئ واتبعوا جوان على دين عيسى حتى أتاهما اليقين.

وعندكم – أيضاً – في الكتاب المذكور أن فلاناً ربان وهو عندكم من الصالحين القديسين الكبار كانت الملائكة تأتيه كل يوم بطعام من الجنة في أطباق الذهب، وعليها مناديل الحرير، وفوق المناديل نوار مختلفة الألوان، فكيف تنكرون أن لا تكون في الجنة آلات الذهب وثياب الحرير والطعام؟! وهذه القصة حجة عليكم سوى ما نقلته الكتب النبوية من ذلك، واتفق على صحته جميع العقلاء الشرعيين، ولكنكم قوم تجهلون، وتجهلون أنكم تجهلون.

وفي الكتاب المذكور أيضا قصة شنتون[1] أن الملائكة كانت تأتيه كل يوم بما يقوم به من الغذاء بكرة وعشية من طعام أهل الجنة المختلف الألوان، وأنه أتاه يوماً رجل صالح عندهم قديس كبير يعرف بباولس العبد[2] فأتته الملائكة في ذلك اليوم بأضعاف ما كانت تأتيه كل يوم من طعام الجنة في أواني الذهب، وعليها مناديل الحرير، وفي كتبهم من هذا كثير، ولكن تركته خوف التطويل.

---

(١) ط : "سننتون" أ ، ق : "شننتون".
(٢) "العبد" من أ.

ومما يعيبونه على المسلمين أيضا تسميتهم بأسماء الأنبياء (عليهم السلام) فيقال لهم: كيف تنكرون علينا ذلك، ونحن قد سمينا[1] بأسماء الأنبياء تبركاً بهم[2] وهم من جنس بني آدم، وكيف لا تنكرون على أنفسكم وأنتم[3] تسمون بأسماء الملائكة كجبريل وميكائيل وعزرائيل، ولا جواب لهم قطعاً عن هذا، وبالله التوفيق.

(١) أ : "تسمينا".
(٢) ط ، ق : "بذلك".
(٣) ط : "حيث تسمون".

الباب التاسع

في ثبوت نبوة سيدنا محمد ﷺ

بنص التوراة والإنجيل والزبور

وتبشير[1] الأنبياء ببعثته ورسالته

وبقاء ملته إلى آخر الدهر

صلوات الله عليه وعليهم أجمعين

اعلموا – رحمكم الله أن ثبوت نبوة نبينا محمد ﷺ ثابتة في كل كتاب أنزله الله تعالى، وجميع الأنبياء قد بشروا به، فمن ذلك ما في الفصل[2] السادس عشر من الكتاب الأول من التوراة، فإن التوراة خمسة[3] كتب جمعت في سفر واحد، وذلك أن هاجر لما هربت من سارة زوج إبراهيم رأت في تلك الليلة ملكاً من

---

(١) راجع عن هذه البشارات: ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢١٩/٢، وابن حزم: الفصل ٨٥٦/١ (ط صبيح) وتفسير المنار ٢٩٥/١، وعبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء ٤٧٢، والشهرستاني: الملل والنحل ١٩٣/١ (ط الأنجلو) وسيد سابق: العقائد الإسلامية، وأوفى هذه الكتب كتاب رحمت الله الهندي حيث أورد ثماني عشرة بشارة فسرها وفصلها في استقصاء وتتبع (راجع الباب السادس من كتاب إظهار الحق).

(٢) تكوين ١٦ : ٦-١٢.

(٣) يقصد بالكتب هنا الأسفار، وهي: سفر التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية.

الملائكة، فقال لها يا هاجر ما تريدين؟ ومن أين أقبلت؟ قالت هربت من سارة، قال ارجعي إليها. واخضعي لها، فإن الله سيكثر زرعك وذريتك وعن قريب تحملين وتلدين ولداً اسمه إسماعيل؛ لأن الله قد سمع خشوعك، ويكون ولدك أعين الناس، وتكون يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع، ويكون أمره في معظم الدنيا" انتهى نص التوراة.

ومعلوم أن إسماعيل وأولاد صلبه لم يكونوا متصرفين في معظم الدنيا، وإنما الإشارة بذلك لعظيم ذريته، وهو نبينا محمد ﷺ لأن دينه دين الإسلام علا على أهل الأرض، وأكثر معمورها، وتصرفت أمته في مشارق الأرض ومغاربها، وهذا أمر تعرفه علماء اليهود وجماهيرهم، ولكنهم يكتمونه عن عوامهم.

ومن ذلك ما في الفصل الثامن عشر من الكتاب الخامس من التوراة[1] أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: "قل لبني إسرائيل إني أقيم لهم آخر الزمان نبيا مثلك من بني إخوتهم، ومن لم يستمع كلمتي التي يؤديها عني أنتقم منه" وهذا النص يدل على أن هذا النبي الذي يقيمه لبني إسرائيل في آخر الزمان ليس من نسلهم، ولكنه من بني إخوتهم، وكل نبي بعث بعد موسى كان من بني إسرائيل وآخرهم عيسى (عليه السلام) فلم يبق من بني إخوتهم إلى نبينا محمد ﷺ لأنه من ولد إسماعيل، وإسماعيل أخو إسحاق بن إبراهيم، وإسحاق جد بني[2] إسرائيل، فهذه هي الأخوة التي ذكرت في التوراة، ولو كانت هذه البشارة لنبي من أنبياء

---

(١) تثنية ١٨ : ١٨ ولفظه: "أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم ما أوصيه به".

(٢) "بني" سقط أ.

بني[1] إسرائيل لم يكن لذكر هذه الأخوة معنى، واليهود أجمعوا على أن جميع الأنبياء الذين كانوا في بني إسرائيل بعد موسى لم يكن فيهم مثله، والمراد بالمثلية هنا أن يأتي بشرع خاص به تتبعه الأمم بعده، وهذه هي صفة نبينا محمد ﷺ؛ لأنه من إخوتهم العرب بني إسماعيل وقد جاء بشريعة ناسخة لجميع الشرائع تبعه[2] عليها الأمم، فهو كموسى من هذه الحيثية، وهو أفضل منه، ومن جميع الأنبياء، بإجماع أمته (صلى الله عليه وعليهم أجمعين).

ومن ذلك ما في الفصل الثالث والثلاثين من الكتاب الخامس من التوراة[3]: "أن الرب تعالى جاء من طور سيناء، وطلع إلينا من ساعير، وظهر من جبل فاران" يعني مكة وأرض الحجاز، فإن فاران اسم رجل من ملوك العمالقة الذين اقتسموا الأرض فكان الحجاز وتخومه لفاران فتسمى القطر كله باسمه.

ومن ذلك: "جاء الله من طور سيناء – يريد بمجيئه ظهور دينه وتوحيده (تبارك وتعالى) بما أوحى إلى موسى بطور سيناء – وطلع من ساعير – يعني جبلاً بالشام، به ظهور دين عيسى (عليه السلام) بما أوحاه الله إليه – وظهر من جبل فاران – يريد بما أوحى الله تعالى من دين الإسلام بمكة والحجاز إلى نبينا محمد ﷺ.

وقوله: "إن رايات القديسين معه وعن يمينه" فالقديسون هم الرجال الأولياء

---

(١) "بني" سقط أ.

(٢)"بني" سقط أ.

(٣) تثنية ٣٣ : ٢ ولفظه: "جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران،وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم، فأحب الشعب جميع قديسه في يدك وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك".

الصالحون، والمراد بهم هنا أصحاب نبينا محمد ﷺ لأنهم الذين كانوا معه، وعن يمينه، فلم يفارقوه قط (رضي الله عنهم).

ومن ذلك، ما اتفق عليه الأربعة، الذين كتبوا الأناجيل الأربعة: "أن عيسى (عليه السلام) قال للحواريين حين رفع إلى السماء، إني أذهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم وأبشركم بنبي يأتي من بعدي اسمه "بارقليط" وهذا الاسم الشريف هو باللسان اليوناني، وتفسيره بالعربية "أحمد" كما قال الله تعالى في كتابه[1] العزيز: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ وهو في الإنجيل باللطيني "براكلتس" وهذا الاسم الشريف المبارك هو الذي كان سبب إسلامي، كما تقدم ذكره في أول هذا الكتاب[2].

وقال يوحنا[3] في الفصل الرابع عشر من إنجيله: "إن عيسى (عليه السلام) قال البارقليط الذي يرسله أبي في آخر الزمان هو الذي يعلمكم كل شئ" فالبارقليط هو نبينا محمد ﷺ وهو الذي علم الناس كل شئ، بما أوحاه الله إليه من القرآن العظيم، الذي فيه علوم الأولين والآخرين، وما فرط الله فيه من شئ، كما قال[4] تعالى (جل ذكره): ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ ولم يظهر[5] بعد المسيح نبي مرسل بهذه الصفة غير نبينا محمد ﷺ فهو المراد بهذه البشارة الجليلة.

---

(١) سورة الصف : الآية ٦.
(٢) راجع ص٩.
(٣) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٤ عدد ٢٦ ولفظه في الترجمة الحديثة: "وأما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شئ".
(٤) سورة الأنعام : بعض آية ٣٨.
(٥) ط : "ولم يذكر".

ومن ذلك ما قال يوحنا[1] في الفصل السادس عشر من إنجيله: "إن المسيح قال البارقليط الذي يرسله أبي من بعدي ما يقول من تلقاء نفسه شيئاً، ولكن يناجيكم بالحق كله، ويخبركم بالحوادث والغيوب".

وهذه صفة نبينا محمد ﷺ بالأخبار المتواترة بحيث لا ينكرها إلا مخذول مطرود عن أبواب رحمة الله تعالى، فأما كونه لا ينطق عن الهوى، ولا يقول إلا بُوحي يُوحى، فهذا يشهد الله به، ولا خلاف فيه بين أمته، كما قال[2] كالله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ وأما إخباره بالحوادث والغيوب فباب واسع جمعت فيه كتب، وهو بحر لا يحاط بساحله، وفي كتاب الشفاء[3] للسيد الفقيه الإمام حجة الإسلام أبي الفضل عياض ما فيه مقنع واعتبار لأولي الأبصار.

وأما ثبوت نبوته ﷺ من كتب الأنبياء المتقدمين (عليهم السلام) فمن ذلك ما قال داود[4] (عليه السلام) في الزبور في الفصل الثاني والسبعين: "إنه يملك من البحر إلى البحر، ومن أدنى الأنهار إلى مقطع الأرض، وتأتيه ملوك اليمن والجزائر بالهدايا، ويسجد له الملوك، وتدين له بالطاعة والانقياد، ويصلي عليه في كل وقت، ويبارك في كل يوم، وتنور أنواره المدينة، ويدوم إلى أبد الأبد، واسمه موجود قبل وجود الشمس".

---

(١) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٦ عدد ١٣.
(٢) سورة النجم : آية ٣.
(٣) راجع كتاب: الشفاء ٢٤٦/١ للقاضي عياض.
(٤) راجع المزمور الثاني والسبعون.

وهـذه كلها صـفات نبينـا محمـد ﷺ والوجـود يشـهد له، وكل مـن دفـع هـذه الصفات عنه فلا يجد في العالم أحد يستحقها، وإن ادعاها مدع لغيره من الأنبياء كان مجاهرا بالبهتان.

ثم لا أعلم أحداً من الأنبياء، بعد داود نسب إليه هذه الصفات الجليلة وهـو قبل نبينا محمد ﷺ وعلماء اليهود يعلمون أنها صفاته الذاتية، ولكنهم يكتمـون[١] ذلك لشقاوتهم السابقة في الأزل.

ومن ذلك ما قال النبي أبقوق[٢] في الفصل الثالث[٣] من كتابه: "في آخر الزمان يجئ الرب من القبلة، والقدوس[٤] من جبال فاران" ومجئ الرب تبارك وتعالى مجئ وحيه، والقدوس هو نبينا محمد ﷺ ظهر من جبال فاران، وهي مكة وأرض الحجاز.

ومن ذلك ما قال النبي ميشا (أي ميخا)[٥] في الفصل الرابع من كتابه: "في آخر الزمان تقوم أمة مرحومة، وتختار الجبل المبارك ليعبدون الله فيه ويجتمعون من كل الأقاليم فيه ليعبدوا الله الواحد ولا يشركوا به شيئاً"، وهذا هو جبل

---

(١) قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ١٤٦).

(٢) سفر حبقوق الأصحاح ٣ عدد ٣ ولفظه: "الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران".

(٣) في المخطوطة : "الثالث عشر".

(٤) في المخطوطة : "والقدس" والمثبت من سفر حبقوق.

(٥) سفر ميخا الإصحاح ٤ عدد ١ : ٣ ولفظه في الترجمة الحديثة: "ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال وتجري إليه شعوب، وتسير أمم كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب".

عرفات بلا شك، والأمة المرحومة هي أمة محمد ﷺ والاجتماع بالجبل المبارك هو اجتماع الحجيج بعرفات،وإتيانهم إليه من جميع الأقاليم.

ومن ذلك: ماقال النبي إشعيا[1] في الفصل الثاني والأربعين من كتابه: "أن الرب سبحانه يبعث في آخر الزمان عبده الذي اصطفاه لنفسه يبعث له الروح الأمين يعلمه دينه، وهو يعلم الناس ما علمه الروح الأمين، ويحكم بين الناس بالحق ويمشي بينهم بالعدل، وهو نور يخرجهم من الظلمات التي كانوا عليها رقود، وقد عرفتكم ما عرفني الرب سبحانه قبل أن يكون".

وهذه – رحمكم الله – صفات نبينا محمد ﷺ واضحة مبينة؛ لأنه هو الذي بعثه الله في آخر الزمان بعد أن اصطفاه لنفسه وجعله حبيبه وخليله من خلقه، وبعث إليه الروح الأمين جبريل (عليه السلام) يعلمه دينه، وهو وحي القرآن والسنة، وشرائع دين الإسلام. وقد بلغ النبي ﷺ كل ما أمره بتبليغه، وهو معنى قول هذا النبي وهو يعلم الناس ما علمه الروح الأمين، وكان يحكم بالحق بين الناس ويمشي بينهم بالعدل، فإن كل ما أمر به، ودعا إليه، ونهى عنه أجمع أهل

---

(١) سفر إشعيا الإصحاح ٤٢ عدد ١ : ٧ ولفظه: "هوذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرت به نفسي، وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم، لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته، قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ إلى الأمان يخرج الحق، لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وينتظر الجزائر شريعته".
وهكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الأرض ونتائجها معطي الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحا، أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهدا للشعب ونورا للأمم؛ لتفتح عيون العمى لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجين الجالسين في الظلمة".

محتويات الكتاب

مطابع الدار الهندسية

موبايل: ٠١٢٢٢٣٤٩٠١١ فاكس: ٢٧٥٤٤٥٥٦

هذا الكتاب

كتاب لقس معظم عند النصارى أحاط بعلومهم إحاطة تامة ، وحصل كثيراً من المعارف ، وأتقن عدداً من اللغات ، شهد له علماء ملته من النصارى بسعة الاطلاع وقوة النظر وسداد الرأى والفكر .

أسلم هذا الرجل لما أن ظهرت له البشارة بالنبى صلى الله عليه وسلم واضحة جلية تحت اسم (البار قليط)، فشهد بالحق وصدق به كما قال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) ، فجاء هذا الكتاب بحق شهادة شاهد من أهلها ، وقد قام على تحقيقه والتعليق عليه وإخراجه بهذه الصورة فضيلة العلامة الدكتور محمود على حماية ، فرحمه الله وجزاه عن الإسلام خيراً .



الناشر
مكتبة الإيمان
للطباعة والنشر والتوزيع
٤ شارع أحمد سوكارنو العجوزة ت ٣٣٤٥٢٣٠٢ فاكس ٣٣٠٤٤٨٤١